

١٩١٥/٢
أقرت وزارة المعارف العراقية تدريس هذا الكتاب في دوائر المعلمين العالية

492.709
R25tA
c.2

تسارح

علوم اللغة العربية

تأليف
العلامة المرحوم

طه الراوي



(الطبعة الاولى)

جميع الحقوق محفوظة لوزارة المعارف العراقية
وكل نسخة ليست مخطومة بختمها تعد مسروقة

78465
طبعة الرئيس - بغداد

١٣٦٩ - ١٩٤٩ م

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد ، فهذا كتاب تركه ابي ، مع جملة ما ترك من كتب ، شرع
باملاء فصوله ، وعاجله القدر المحتوم قبل أن يتمه ويعيد النظر فيه .
وقد تطلعت وزارة المعارف فرأت أن يطبع قبل غيره من الكتب
التي خلفها - رحمه الله - لينتفع به طلابه في دار المعلمين العالية ببغداد ،
فبادرت بالاشراف على طبعه شاكرآ لرجال الوزارة التفاتهم واهتمامهم .
وقد عرضته الوزارة - قبل طبعه - على استاذين كريمين ، زاملا
والدي وعرفاه خير المعرفة ، هما سعادة الاستاذ المصري محمد هاشم بك
عطية ، وسعادة الاستاذ الدكتور مصطفى جواد ، وقد قدم كل منهما
تقريباً عن الكتاب للوزارة ، وقد اعطيت الكتاب - بعد ان انجز
طبعه - الى الاستاذ الدكتور جميل سميد فكتب بعض ملاحظاته عنه ،
وها أنا اصدر الكتاب - شاكرآ - بما كتبوه . وأسأل الله ان ينفع به ،
وان يعينني على نشر غيره .

المحامي

عليه رحمه الله

بغداد - كراية مهدي في ١٣٣١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ هـ
هاشم طه الراوي

نقـر بـر الـدكـتـور مـصـطـفـى جـواد

حضرة رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد تصفحت كتاب تاريخ علوم الأدب للشيخ العلامة السعيد
الاستاذ طه الراوي (رضي الله عنه) . فوجدته من خير الكتب التي
جمعت تاريخ ذلك الفن واعظمها اتقاناً لدقائمه وحقائقه بأسلوب رشيق
وبيان عذب وتنسيق دقيق . بحيث اصبح لا يغني عنه كشف الظنون
ولا موضوعات العلوم ولا غيرها .

والتصريح لهذا الكتاب يرى ان مؤلفه - رحمه الله تعالى - قد
انبعغ عليه جمالا من ذكائه . واضفى عليه كثيراً من الايضاح
والتلخيص . حتى اصبح سهلاً فهمه قريباً علمه ، واضح المعالم سوى
السبيل .

ولذلك اقترح على اللجنة المحترمين الموافقة على طبعه والسعي في
جعله من الكتب المفترديسها في المدارس الادبية العاليه . وتقبلوا
مولاي فائق الاحترام .

مصطفى جواد

عضو لجنة التأليف والترجمة والنشر بوزارة المعارف

تقرير الاستاذ محمد هاشم عطية

سيدي المحترم مراقب لجنة الترجمة والتأليف والنشر

تفضلتم بكتابكم المؤرخ في ٢٧ - ١٠ - ١٩٤٦ فكلتموني بوضع
تقرير عن كتاب مخطوط من تأليف المرحوم السيد الراوي ونوهم
بما تكرم به معالي وزير المعارف - اعزه الله - من الموافقة على طبعه
مبادرةً منه الى المشاركة في تخليد ذكرى الفقيد ونشر آثاره النافعة
بين طبقات المعلمين في البلاد، وتمشيًا مع المأثور من مبادئ معاليه فيما
يبدله من المعونة المشكورة لخدمة التعليم وتشجيع النهضة الادبية في
العراق الحديث. ولا شك عندي في انكم ستقدرون ما اثاره هذا
التكليف في نفسي من الارتياح لما اتاحه لي من فرصة الاعراب ثانية
عما كان للفقيد من منزلة. وما زركه في الديعة الثقافية من فراغ، سينقضي
زمن قبل أن يترشح له من يخلفه فيه بمثل هذه الكفاية العلمية
النادرة المثال.

واني اشرف بأن اضع بين يديكم ما لاحظته خلال مطالعتي لهذا
الكتاب الذي كنت اخذت في دراسة فصوله قبل أن تبلفني رسالتكم
الكريمة بعدة ايام ولا اكاد أنكر عليكم اني كنت استعين بالتأمل
واطيل الوقوف مع المؤلف - رحمه الله - بين سطور الكتاب، طلباً

لتحقيق الموازنة العادلة بين ما يشتمل عليه من المناقشات الفاصلة للكثير من قضاياها ومسائله المختلفة وبين ما استظار لمؤلفه من الذكر واستفاض من الشهرة التي لا ينبغي ان يجعلها العقلاء وحدها دليلا على الاستحقاق ولا مستوجبة لما ينسجه الناس حول المشهورين من التعاريف والالقاب. وقد اسلمني التصفح على هذا الاساس من التعقيب والنقد الى ما يتضمنه هذا التقرير الذي أنشرف بعرضه على انظاركم ليتخذ طريقه بمد البحث والمراجعة الى ما يتبين لكم من وجهة النظر المبنية على توخي العدالة ووضع مصلحة الجيل المعاصر فوق كل اعتبار . أما موضوع الكتاب فهو تاريخ العلوم العربية او علوم الادب كما اشرتم الى ذلك في كتابكم الكريم . وهي العلوم التي بدأ علماء المسلمين باستنباطها ووضع اصولها وابوابها منذ صدر الاسلام الى العصور التالية له كعلم اللغة او علم متن اللغة وعلوم البلاغة وعلم النحو والصرف والعروض والقوافي ورسم الحروف وغيرها وقد صدره المؤلف بمقدمة مسهبة في بيان الادوار التي تقابل فيها كلمة الادب وما كان يطلقها عليه السلف من المعاني الى زمن ابن خلدون . وأتبع ذلك بفصول ممتعة في اصل العربية وتحرير ما تناوله الخلاف بين اللغويين من ردها الى البابلية او جعلها اصلا لاخوانها السامية وفيما صارت اليه بمد ما قطعه من مسافات التاريخ من الكمال اللغوي بسبب ما اختلف عليها من اساليب التهذيب وعوامل النمو التي ما يزال معظمها آخذاً باعناق اللغات الى التكاثر والتماء حتي عصرنا

هذا وافاض في الكلام على التعريب وبيان طرقه المختلفة عند العرب ونوه
 بحذقهم في اخضاعه لقوانين اللغة وتصرفهم في سرعة الاستفادة منه من
 غير تردد ولا مشاورة ثم انتهى من ذلك الى ذكر الاوائل من
 الرواة وما كان لابن الاسود الدؤلى وتلاميذه من الاثر الملحوظ في
 وضع الاصول التي سار على نهجها فيما بعد اكثر الباحثين من علماء العربية
 في العصور المتأخرة . وبدأ يذكر علم اللغة فلم يدع رسالة صغيرة ولا
 مطولة ولا كتاباً صغيراً ولا كبيراً خاصاً او عاماً الا ذكره وعرف بواقعه
 واسهب في بيان فائده وطريقة تأليفه والتنبيه على ما عسى ان يكون قد
 وقع لصاحبه من عثرة قلم او زلة قدم .

ومضى بهذه الاستفادة من الدراسة والبحث في ذكر مجتهدى النحاة
 من علماء المصريين : الكوفة والبصرة وغيرهما الى المائة العاشرة من
 الهجرة . وعرض للخلاف المشهور بين نحاة البصرة والكوفة والى
 معظم المذاهب الشائعة بين غيرهم من الأئمة في هذا الموضوع وذكر
 جميع الموسوعات الكبرى وتواريخ تأليفها ورجالها مما قل ان نجد له
 نظيراً في كتاب آخر من الكتب التي عاجلت هذه المباحث المتقدمين
 والمتأخرين ويمتاز الكتاب بمراعاة الضبط والدقة في سياق الحقائق العلمية
 والتاريخية والعناية بالاعلام واسماء المؤلفين الذين لا يزال يخفى على
 كثير من خواص المتعلمين وجه الصواب في النطق بها خالية من
 التعريف والخطأ كضبطه مثلاً اسم يحيى بن يعمر من اصحاب ابي

الاسود بقوله (يعمر يفتح الميم كيذهب) ومعظم علمائنا ينطقونها على ما اعلم بضم الميم عدا ما ظهر من فضل المؤلف في جمع شتاها وحسن تبويبها وما وشح به حواشيها من سوانح ادبية وديباجة مطبوعة تشوق المطالعين وتحجب الكتب الى القراء . ومن اجل ذلك ارجو وانا ادع ابيكم الرأي الاعلى في تقدير الكتاب واعتماد صلاحيته للنشر - أن تنفضلو بقبول ما اكنه لكم في نفسى من الاحترام والتجلة والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد هاشم عطية

٣ تشرين الثانى ١٩٤٦

استاذ الادب العربى فى دار المعلمين العالية



بسم الله الرحمن الرحيم



الادب

الادب

كان العرب قبل الاسلام يطلقون لفظ « الادب » على معان منها : الدعوة الى الشيء ، يقال أدب الرجل يأدب أدباً : اذا صنع صنيعاً ودعا الناس اليه . ومنها العجب ، وكذلك يطلقونه على الفضائل النبوية ، والمكارم الخلقية ، وعليه الحديث « ادبني ربي فاحسن تأديبي » . ثم تطور معنى هذه الكلمة بعد الاسلام فاطلقت على مجموعة من علوم العرب منها : الشعر ، والأخبار ، والأنساب والنحو . ويطلق على العالم بهذه العلوم اسم « الأديب » ، واذا اشتغل بتعليمها فهو « المؤدب » .

قال ابو منصور الجواليقي المتوفي سنة ٥٣٩ هـ : « وذلك كلام مولد ، لان هذه العلوم حدثت في الاسلام . واشتقاقه من شيئين يجوز ان يكون ، من الادب وهو العجب ، ومن الادب بمصدر قولك ادب فلان القوم يأدبهم ادباً اذا دعاهم قال طرفه :

نحن في المشتاة ندعو الجفلي (١)

لا ترى الآدب فينا ينتقر

فاذا كان من الادب الذي هو العجب فكأنه الشيء الذي يعجب
منه لحسنه ، ولان صاحبه الرجل الذي يعجب منه لفضله . واذا كان
من الادب الذي هو الدعاء فكأنه الشيء الذي يدعو الناس الى المالحمد
والفضل ، وينهاهم عن المباح والمجمل . ا هـ .

وهذا التطور في معنى كلمة الأدب بدأ في اواسط القرن الاول
الهجري ، وبذلك التقى في معنى هذه الكلمة ادب النفس وادب الدرس
الذي يستأنس احدهما بالآخر ويستمد قوته منه ، فان ادب الدرس من
اهم روافد ادب النفس ، كما ان ادب النفس اكبر حافز الى التوسم في
ادب الدرس .

وبهذا التطور في معنى الادب اصبح ذا كيان خاص ، وصار محتاجاً
الى تعريف يجمع بين معناه النفسي ومعناه الدراسي ، وعلى هذا قال ابو
زيد الانصاري المتوفى سنة ٥٢١ هـ : « الادب يقع على كل رياضة محمودة
يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل . » وهذا كما تراه - شامل
لادبي النفس والدرس ، لأن الرياضة المحمودة كما تتصل بالنفس تتصل
بالدرس . ثم لما تيسرت الامة في الحضارة وتوسعت في المعارف ، ولا سيما

(١) الجفلي : الدعوة العامة . والنقري الدعوة الخاصة يقال منه انتقر

ينتقر اذا دعا دعوة خاصة

اللسانية منها ، اضيفت الى معنى هذه الكلمة امور لم تكن من معناها سابق العهد . من ذلك اطلاقها على اصول المنادمة وفنونها ، وعلى فنون النغم واصول الاغاني وما يتصل بها من الآلات . ولما وضع عبدالله بن طاهر المتوفي سنة ٢٨٩ هـ كتابه في اصول المنادمة وفنونها اسماه « الآداب الرفيعة » ذاهبا الى ان هذا الضرب من الادب يعتبر في القمة من سائر ضروبه ، وكذلك فعل الشاعر المشهور « كشاجم » في تسمية كتابه « ادب النديم » وقد جمع فيه ضروباً شتى من هذه الفنون .

ثم كلما ابتدع فن من الفنون اللسانية انضوى الى لواء هذه الكلمة ، وبذلك توسع معناها بتماقب الزمن توسعاً ظاهراً وبمد كل هذا التوسع اصبح حد الادب كما قال ابن خلدون : « هو حفظ اشعار العرب واخبارهم ، والاخذ من كل علم بطرف » . ولهذا لا يجوز ان يتحلى بلقب « الاديب » الا من اتقن الفنون اللسانية والم من العلوم الشرعية والكونية بما لا يجمل بالناثر والناظم جهله .

علوم الأدب :

تبين مما تقدم ان معنى لفظ الأدب تطور من حال الى حال حتى اصبح جامعاً بين المعنى الخلقى والمعنى الفني ، بمعنى أنه صار شاملاً المزايا الخلقية والمكارم النفسية ، وزمرة العلوم التي من شأنها تقويم اللسان والعلم ، وكل ما يعين على الاجادة في منشور القول ومنظومه ، وكل ما يتوسل به الى

فهم كلام العرب في القديم والحديث . وهي فنون كثيرة فلا يسوغ
 لاحد ان يتسم بسمه الاديب بحق الا اذا ضرب في هذه الفنون بسهم .
 وقد اختلفوا في تعداد هذه الفنون اختلافاً كبيراً ، لكنهم اتفقوا على
 اضل واحد وهو انها فنون اللسان العربي ، ومن اشهر الباحثين في ذلك :
 ابو القاسم الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨ هـ . فقد ذكر انها اثنا عشر فناً
 وهي : « اللغة ، والصرف ، والاشتقاق ، والنحو ، والمأني ، والبيان
 والبديع ، والعروض ، والقوافي » . وهذه تعتبر اصولاً . « والخط ، وقرض
 الشعر والانشاء ، والمحاضرات ، » وهذه الاربعة تعتبر فروعاً . اما ابن
 الانباري المتوفي سنة ٥٧٧ هـ فقد عد منها في كتابه « طبقات الادباء »
 « النحو ، واللغة ، والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصفة الشعر واخبار
 العرب وانسابهم ، والجدل في النحو ، واصول النحو » . وبهذا اسقط
 بعض العلوم التي ذكرها ابو القاسم الزمخشري ، وزاد علمين وهما « علم
 الجدل في النحو واصول النحو » . وكان الاندلسيون يطلقون علم الادب
 على ما يحفظ من التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات .
 والجمهور على انه لا بد للاديب من الاطلاع على فنون شتى غير
 الفنون اللسانية ليتحذر من التورط في الاغاليط عندما يتطرق في شعر
 او نثر الى ماله مساس في تلك الفنون ، ولكي يستعين بذلك على فهم
 كلام المحدثين الذين اولعوا بتضمين منشورهم ومنظومهم الكثير من
 مسائل تلك العلوم ، فن ذلك مثلاً قول الطغرائي :

فانت علائي من دوني فلا عجب
لي اسوة بالمحظاظ الشمس عن زحل
وقوله ايضاً :

لو كان في شرف المأوى بلوغ مني
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
وقول ابي الطيب :

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر أن المانوية تكذب

فان البيتين الاول والثاني لا يفهمهما الا من شدا طرفاً من علم الهيئة
والثالث لا يفهمه الا من لم بشيء من علم الكلام ، وامثلة هذا كثيرة ،
ولا سيما في كلام المتأخرين من الأدباء . والى هذا اشار ابن خلدون في
تعريفه علم الادب بقوله : « والاخذ من كل علم بطرف . »

على انه اذا اطلقت علوم الأدب فانما يراد بها العلوم اللسانية التي لا
بد من معرفتها اكل من يتصف بصفة الأديب . ونحن نلخص ذلك في
الفصل التالي مع شيء من الايضاح .

اجمال وايضاح :

حدثنا التاريخ انه عندما احس اولونا بوقوع بواذر الاضطراب
على السنة احداثهم ، وشعروا بدبيب الالكنة في خواضرهم وتسرب

اللحن الى احداثهم ، عز عليهم ذلك ، وخافوا انهم اذا تركوا الجبل على الغارب يستفحل امر اللحن والاضطراب في لغتهم ، ويتدفق عليها تيار العجمة فيطمس آثارها . فانصرفوا بكل ما لديهم من تفكير الى وقايتها وصيانتها وصدد ما يمتورها من طواريء الخلال والاضطراب ، كيف لا وهي لغتهم ، ولغة دينهم الذي هو سرهم وضميرهم ، وعنوان سيادتهم . ومن ثم بادر علماءهم الى تدوينها وضبط قواعدها وتقييد مسائلها وما برحوا ينتقلون في خدمتها من حال الى حال حتى استوت لديهم على توالي الاجيال جملة علوم اطلقوا على مجموعها « علوم العربية » او « علوم الادب » فمن هذه العلوم ما يخدم العربية المعربة من حيث ضبط مفرداتها وبيان مدلول كل لفظ من الفاظها . وهذا ما سموه « علم اللغة » او « متن اللغة » .

ومنها ما يخدمها من جهة معرفة ما يمرض لانبية كلماتها من الهيئات المختلفة ، ومعرفة القواعد التي يستعان بها على معرفة تحويل الاصل الواحد الى صيغ مختلفة في الهيئات ، متحدة في المادة ، للحصول على معان لا يمكن الحصول عليها الا بتلك الصيغ ، وهذا ما يسمى « علم الصرف » او « التصريف » ونريد به ما يشمل علم الاشتقاق .

ومنها ما يمرض به اصول تركيب كلماتها وانطباق هذه التراكيب على المعاني المرادة منها وما يمرض لواخر الكلمات بعد التركيب من التغير وعدمه ، وهذا « علم النحو » .

ومنها قواعد يعرف بها خواص تركيب الكلام ، واسرار بلاغته ،
وايراده منطبقا على مقتضى المقام والحال . وهذا هو « علم المعاني » وبعضهم
يسميه « علم البلاغة » . ومنها قواعد تعين على معرفة ايراد المعنى الواحد
بطرق متعددة وتمايز مختلفة في الايضاح والتبيين ، وهذا هو « علم البيان » .

ومنها ما يعرف به وجوه تحسين الكلام لفظا او معنى ، وهو « علم
البديع » . وبعضهم يسمى هذه العلوم الثلاثة ، او الاخيرين منها فقط
« علم البيان » وبعضهم يطلق على الثلاثة « علم البديع » .

ومنها ما يبحث فيه عن طرق بيان المقصود بالكلام المنشور كتابة
وعن اختلاف اساليب الكلام باختلاف الموضوعات ، وعن الاداب
التي ينبغي للكاتب ان يتأدب بها ، والمعارف التي يجب ان يتحلى بها وما
الى ذلك فاطلقوا على هذا « صناعة الانشاء » . وبحثوا عن كيفية تصوير
الالفاظ بحروف هجائها ، وسموا ذلك « علم الرسم » او « الخط » او « الكتابة »
كل هذه العلوم تخدم المنشور من الكلام ، ثم انتقلوا الى المنظوم
فبحثوا فيه من وجوه عديدة ، بحثوا عن كيفية نظم الشعر وعن اداب
الشاعر ، وعن نقد الفاظ الشعر ومعانيه . واطلقوا على هذه المباحث
« صناعة قرض الشعر »

ثم بحثوا عن ضبط الاوزان التي نظم عليها العرب المعربون واسموا
بمجموع ذلك « علم العروض » .

وبحثوا عن احوال اواخر الايات من حيث حروفها وحركاتها
وسكناتها ومحاسنها وعيوبها واسمونه « علم القوافي » .
ثم انتقلوا الى البحث عن كيفية ايراد المتكلم كلام غيره ، من مشور
ومنظوم ، حسب المقتضيات والمسايات في المحادثات والمساجلات واطلقوا
عليه « علم المحاضرات » ، وينطوي تحت ذلك علم اخبار العرب وايامها
وانسابها والتاريخ على سبيل الاجمال .

هذه اهم العلوم التي حاط بها اسلافنا لفهم العربية . وهناك علوم
اخرى تتصل بهذه او تفرع عنها . وليس هذا محل استقصائها وانما
اوردنا في هذا التمهيد المهم مما لا بد من ايراده لربط حلقات الموضوع
بعضها ببعض . ولسنا بحاجة الى بيان ما لهذه العلوم من المكانة في خدمة
اللغة العربية وتعزيز جانبها ، وتحويطها من ان يطفئ عليها سيل العامة
فيطمس انوارها ويغني معالمها - ولهذا رأينا ان نلهم بتاريخ كل علم منها
على - سبيل الاجمال ، وبقدر ما يتسم له المقام . فنبحث عن : نشأة العلم ،
واولية تدوينه ، واطوار تدرجه في النماء والانتساع . وما تفرع عنه من
الفروع ، وما اصيب به من توقف او تقلص او جود . مع التنويه بذكر
البارزين^(١) من القائمين على خدمته ، والتعريف بالمهم من اثارهم فيه الى غير
هذه من المباحث التي نرى ان في امكان الطالب ان يجتني منها ثمرة
علمية او عملية ..

(١) انظر الفهرست في آخر الكتاب .

اللغة العربية

اصلها :

يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة اصول : السامي والآري والطوراني . ويمدون العربية من الاصل السامي واذا اعتبرنا اللغة البابلية ✓ الاولى التي عثر على بقيتها في اثار الدولة الحورائية - هي الاصل السامي الذي انشقت منه اللغات المدرجة اليه - يرجح عندئذ ان العربية اقرب اخواتها الى ذلك الاصل او انها هي الاصل نفسه تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال . وحدتها القرون الحالية بالصقال ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه الآن ، ذلك لان العلماء رأوا مشابة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى ، ووجدوا في هذه كلمات وعلامات واصول وقواعد هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها ، او هي موجودة فيها مع تحريف وتحوير ليسا بالبعيدتين .

✓ فمن وجوه المشابة بين العربية المضرية والبابلية حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا اثر لها في سائر اللغات السامية ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية ، عرفها وعرفته قبل ان يعرفها التاريخ . ومن وجوه المشابة جمع المذكر السالم فانها في اللغتين « و ن » . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والنون في البابلية مبهم ساكنة . والميم

اخت النون في العربية ، وكثيراً ما تتبادلان ، مثل عنبر تنطق عمبر . ومن امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : انف ، عنب ، بلال ، صمصة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لا تختلف شيئاً في اللغتين .

اذا اضفنا هذا الى ما يراه المحققون من ان مهد العنصر السامي جزيرة العرب ، تبين لنا جلياً صدق ما ذهبنا اليه من ان هذه اللغة هي العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا اقل من ان العربية اقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء يعلمون ذلك بكون العربية عاشت في معظم غصورها متبدية ، والبدواة حرز حريز لما تحوطه بمناياها وتربيته في حجرها من اللغات اذ اللغة لا تلون بتلون العمران ، وتصطبغ بصبغة الحضارة التي تمش في اكنافها ، وان العمران والحضارة من المهامه الفيج والصحارى التي تحار فيها الريح ؟
نظرها :

ليس معنى كون العربية اصلاً او قريبة من الاصل ان هذه اللغة المضرية اليعربية التي تحوكمها اقلامنا وتلوكمها افواهنا هي لغة تلك الام القديمة على ما كانت عليه في مجد حياتها . حفظنا لنا القرون الخالية فادتها الينا مصونة من التحوير والتغيير ، لا وانما المقصود ان الشعب العربي الذي ما زال ولم يزل يحتفظ بجزيته ، مهد العنصر السامي ، احتفظ بأم لغات هذا العنصر . وان الام تطورت من حال الى حال ، وتمهدتها

الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية فجعلت شملها ، ولت شعنها ، وزادت في ثرائها ، وبالت في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ، وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملتها بجليل حمايتها الى ان بلغت ما بلغت من البسطة في السلطان والكثرة في الاعوان ، واتسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعية ولسانية وفلسفية وغيرها ، وبلغت يومذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها ، وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر العباسي ، تجدها اوسع رقعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر الاموي وصدر الاسلام افسح مجالاً منها في الجاهلية يوم كانت منزلة في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة بالنسبة الى حالها في الجاهلية الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنسبط بانبساط اهلها في الحضارة والعمران وتنقبض بانقباضهم وترتقي بارتقاؤهم وتنخفض بانخفاضهم ، وهي بعد كائن حتى معروض لموامل التركيب والتحليل والتجدد والاندثار وسائر العوامل التي تخضع لها الاحياء من هذا القبيل .

واهم علائم الحياة في اللغة تحكم عالمي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنفوان شبابه ، فتستغني عن الفاظ وتراكيب وتضم الى

نفسها الفاذا وتراكيب حسبما تقضي به عوامل الدشوء والارتقاء ، او كما يقولون حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي ومن هذا ندلم ان العربية اليوم غيرها بالامس .

عوامل تهذيبها

وليس في مقدور الباحث اليوم أن يحيط بكنهه ما تقلبت عليه هذه اللغة من اطوار التهذيب وما مرت به من عوامل النماء والتوسيع ، ولكن يمكن ان يقال على سبيل الاجمال . فان اطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها تابعة لتطور احوال المتكلمين بها . فاذا علمنا مثلا ان دولة حمورابي التي وصلت الى ما وصلت اليه من رفعة الشأن ، والتبسط في العمران - عربية النجار ، ندلم عند ذاك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة قسطها من التهذيب والنماء يقدران بمقدار ما احرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة السلطان .

ويقال مثل ذلك في الدول العربية الاخرى التي ظهرت لمع من اخبارها من خلال غبار العصور الخالية ، مثل دولة المماليق في مصر المعروفة عند اليونان باسم « الهيكسوس » ، وعند قدماء المصريين باسم « الشاسو » اي الرعاة او البدو ، ومثل دولة معين في اليمن واثار الدول الجمانية التي تبسطت في الفتوح وتوسعت في الحضارة ..

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من

تاريخ الامة العربية فلنترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ما تنقلب عليه الامة العربية من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه التقلبات ، منها : اتعمال العرب بغيرهم بالمجاورة والمتاجرة وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة وانفراد كل قبيلة بمحاسن من القول يغبطه عليها القبيل الآخر . ومنها الاسواق المشهورة ، والمجامع المذكورة مثل عكاظ ومجنة وذى المجاز . ومنها الحج وغير ذلك هذا امر تطورها في الجاهلية ، واما في الاسلام فلا تطوار التهذيب تاريخ واضح المنهج ، سنلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

عوامل نمائها وتوسعها

اما عوامل النماء في اللغة فكثيرة اهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والاببدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصلاح ، والتوليد ، والتعريب .

واذا انممت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين ، قسم منها يرجع الى بنية اللغة ، مثل الاشتقاق ، وقسم تستمده اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا اشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية ، فان وسائل نمائها على درجتين الاولى تمثيل الاغذية التي تستمدها من الخارج ، والثانية تحصل بتكاثر الخلايا بانقسام الواحدة منها الى اثنتين ، ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ..

اولا - الاشتقاق

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من اخرى مع اتفانها في اصل المادة والمعنى ، ليدل بالثانية على المعنى الاصلي مع زيادة مفيدة لاجلها اختلفت حروفها او حركاتها او هما معا . مثل كتب من الكتابة وقرأ من القراءة ، وبعبارة اخرى ، هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية .

وقد ذكروا له نوعين : الاول الاشتقاق الاصغر وهو المشهور بين علماء العربية واذا اطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الاكبر ، واهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه ..

والمذهب المول عليه بين علماء العربية ان الكلام بعضه مشتق وبعضه غير مشتق . وذهبت طائفة من المتأخرين الى ان الكلم كله مشتق . وهذا مذهب غير مفهوم لانه لو كانت كل لفظة نوعاً من غيرها للزم الا يكون هناك اصل وهذا محال ، اللهم الا اذا قالوا : ان المراد بذلك ان الكلمة لا تخلو من احد امرين اما ان تكون مشتقة او مشتقا منها . فينشد يمكن ان يذكر قولهم هذا مع الاقوال . ويحتمل المناقشة والجدال ، وتذهب طائفة ثالثة الى انه ليس هناك اشتقاق ما واث الالفاظ كلها اصل . وهو قول بعيد عن التحقيق .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الاصغر
في وجوه :

- الاول — زيادة حركة في المشتق ، مثل علم من العلم .
- الثاني — زيادة حرف فيه ، مثل طالب من الطالب .
- الثالث — زيادة حرف وحركة معاً ، مثل ضارب من الضرب .
- الرابع — نقص حركة منه ، كالفرس من الفرس .
- الخامس — نقص حرف منه مثل ثبت من الثبات .
- السادس — نقص حرف وحركة معاً مثلاً نزا من النزوان
- السابع — نقص حركة وزيادة حرف ، مثل غضي من الغضب .
- الثامن — زيادة حركة ونقص حرف ، مثل حرم من الحرمان .
- التاسع — زيادة حركة وحرف ونقصهما ، مثل امتنق من الناقة .
- العاشر — تغاير الحركتين ، مثل بطر من البطر .
- الحادي عشر — نقص حركة وزيادة اخرى وحرف ، مثل أضرب
من الضرب .
- الثاني عشر — نقص حرف وزيادة آخر مثل راضع من الرضاعة .
- الثالث عشر — نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل خاف
من الخوف .
- الرابع عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل عدة
من الوعد فان فيه نقص الواو وحركتها ، وكسر العين بمد ان كانت ساكنة

الخامس عشر - تنص حركة وحرف وزيادة حرف ، مثل فاخر
من الفخار .

وانما اشرنا الى هذه التغيرات المتنوعة لنبدل على ما في هذا الباب
من السعة . وانه من اكبر الابواب التي تنهض باللغة وتمدها بمعين
لا ينضب .

اما الاشتقاق الاكبر فيشترط فيه حفظ اصل المادة دون تقلبات
الهيئة . مثل تقلب مادة (ق و ل) على وجوها الستة الخلفة : ولق ،
لقو ، .. الخ . وهي في كل هذه التصاريح تدل على الخفة والسرعة .
قال ابو حيان النحوي : وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح ابن جني ، وكان
شيخه ابو علي الفارسي يأنس به في بعض المواضع .

والذي يتقرى كلام اللغة بانمام نظر يجد ان لمعظم موادها اصلا
ترجع اليه اكثر كلمات ذلك الاصل ان لم نقل كلها . خذ على ذلك مادة
(ف ل) وما يشتملها تجدد الجميع تدور حول معنى الشق والفتح ، مثل :
فلح ، فاج ، فلم ، فلق ، فلذ ، فلي . ومثل ذلك مادة (ق ط) وما يشتملها
تقول : قط ، قد ، قطع ، قطف ، قطر ، قطن ... الخ وكلها بمعنى
الانفصال .

واول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضا
والعلامة الزمخشري ولوع فيه ، تجد ذلك كثيرا في كشافه ، ويذهب

بعض اللغويين الى ان هذا الاصل جار في كل تراكيب المواد اللغوية
ولو بضرب من التأويل ولو قليلا ، وهذا مذهب لا يخلو من المبالغة ،
لذا ان كثيرا من مفردات اللغة دخل عليها من لغات اخرى ثم صار مع
الزمان كأنه منها في الصميم . ولا يمكن في حال من الاحوال ان يرد
الى اصل من اصولها . وللمعلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين
يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقا ، اقل ما يقال فيها انها من المضحكات .
حكى عن بعضهم انه سئل عن اشتقاق الجرجير - نوع من النبات - فقال
سبي بذلك لان الريح تجرحه اي تجره ، وسئل عن اشتقاق الجرة
فقال لانها تجر على الارض . ويقول انما سمي الثور ثورا لانه
يثير الارض للحرث . الى امثال هذا الهذيان والاعجب ان بعضهم
يتكلف للاعلام المعجبية ضروبا من الاشتقاق تنقاط السخافة من
اطرافها . ولا تعدم في هذا العصر اناسا من هذا القبيل . فقد بلغنا ان
بعضهم سئل عن البجيرة - وهي يستعملها الانراك للنافذة - فقال انها
من بنجر الرجل اذا فتح عينيه لان النافذة تكون مفتوحة ، فافرا
ولاعجب .

ولم تكن هذه الباب في علم العربية افرده بالتأليف وحاطوه بالعناية
الواسمة . ومن الفه في الاصمعي ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ،
وابو الحسن الاخفش ، وابو نصر البلهلي ، والفضل بن سلمة ، وابن دريد ،
والزجاج ، وابن السراج ، والروماني ، وابن النحاس ، وابن خالويه وغيرهم .

هذا زيادة على ما جاء به الصرفيون في كتبهم من التحقيق والتمحيص .
 واكبرهم عناية في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جنى الموصللي .
 وقد اف فيه بعض المعاصرين من علماء الشام كتاباً نفيساً . والمصر الذي
 نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لان المعاني
 الجديدة المتدفقة ، والمبدعات المصرية المتكاثرة ، تتطلب من الالفاظ ما تميز
 به مفردات اللغة اذا لم تنزع الى هذا الباب فتوسع منه ما ضيق به بعض
 المتشددين ثم تستمد منه العون فتجد منه خير معين ، واغوى نصير .

ثم ان هذا الباب اوسع من ان يحاط به في مثل هذه المجالة ولكننا
 نظرنا اليه من بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا ، وتركنا التفاصيل
 للكتب الموضوعية فيه .

النحت

قد يعتمد العربي الى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منهما حرفاً ويؤلف منها
 كلمة جديدة يدل بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، او على معنى
 آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه . فيقول في النسبة الى «عبد شمس» :
 — عبدشمي مثلاً . كما يقول : بَسْمَل فلان يريد انه قال : بسم الله الرحمن
 — الرحيم . ويسمون المعجوز الصخابة الكثرية الهذر : صهصلق ، اخذاً
 — من : صهل ، وصلق . بمعنى صات صوتاً شديداً .

وقد اطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت

لان العربي ينحت من الكلمتين فاكثر كلمة ، وفي هذا العمل ما فيه من القوائد مما يري الى امداد اللغة بالثراء . زيادة على ما فيه من الاختصار يكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول . فقولنا : بسمل مثلاً اخصر من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضع له الأوائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماءياً ، وقل الاعتماد عليه عند المتأخرين من العلماء على ما يظهر من كلام ابن مالك في تسهيله انه يعتبر هذا الباب قياسياً في باب النسبة ، ولكن ابا حيان انكر عليه ذلك ، وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال منه ما قاله العرب فقط ، والمحفوظ منه عند ابي حيان : عبشمى في النسبة الى عبد شمس ، وعبد رى في عبد الدار ، ومرقس في امرىء القيس وعبسى في عبد القيس ، وتيملى في تيم اللات . هذا ما اورده ابو حيان من المسموع في باب النسبة من المنحوت . ومعلوم ان النحت في غير باب النسبة اكثر منه في بابها فقد قالوا : هلل واكثر من الهيلة ، اذا قال لا اله الا الله . وحوقل واكثر من الحوالة وحوقل بعضهم ان يقال حوقل ، وعده من الفلظ وليس بشيء ، لانه جرى على السنة كبار اللغويين . ومن حفظ حجة على من لا يحفظ . واكثر من الحوقلة اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله . ومنه : حمدل حمدلة . وحسبل حسبله . قال : حبي الله . وحيل حيلة قال : حى على الصلاة ، حى على الفلاح . وحيل بمعنى قال حى على كذا .

قال الشاعر :

✓ اقول لها ودمع العين جاز الم يحزنك حيلة المنادي

وجفند جمفدة . قال : جعلت فذلك . ودمعز دمنزة ، قال : دام
عزك . وطابق طلبقة ، قال : اطل الله بفاك ومشكن مشكنة ، قال :
ما شاء الله كان . وسمل سملة ، قال سمع الله من حمده ، وكنتع كبتعة ،
قال : كبت الله عدوك ، وسماح سملعة ، قال : السلام عليكم . وقالوا :
حبرم القدر اذا وضع فيها حب الزمان ، وامثلة ذلك كثيرة ، حتى
ذهب ابن فارس وجماعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة
احرف اكثرها منحوط ، مثل قول العرب : رجل مضبط اي شديد ،
او مضخم مكتمز اللحم ، منحوط من : مضبط وضبر ، بمعنى اشتد خطفه
وتواثق ، قال : ومنه احد صلدم ، ورجل صلدم اي صلب ، منحوط
من صلدم وهدم ، وبشر منحوط من : بشر واثير ، وبشر من بحث واثار
ويعني ويرى الخليل ان النحت يجيء في الحروف ، قال : اصل وان ، لا
ان تخففت فصارت لن ، وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة ،
والنحت يد سموح في اسداد اللمة بالثروة ولا سيما لغة العلم ، ولكن
بعض المتأخرين من النحويين حاولوا بين اهل العلم ويبيحه بقولهم انه باب
سماعي ، وبذلك اوضحوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه
وتوسيعه بقدر المستطاع لما لجة الفاقة الانوية تجاه الهاني العلمية التي فاض
فيضا ، وعَبَّ تيارها في هذا العصر .

ثم ما لنا وللمتشدين من متأخري النحاة الذين كلما افتتح امام
 اللغة باب تنفص منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة
 عليها وسد مسالك العجمة عنها، وما اشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية
 التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها
 وجمالها، ولم تدر انه سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان
 قوتها وتمجزان عن القيام بوظائفهما، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق
 من القوم يوصدون عليها ابواب القياس، يأخذون عليها مجامع الطرق
 على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على نظارتها، وييقون على غضارتها،
 وفاتهم انهم بهذا الصنيع يملون على اماتتها بانانة عناصر الحياة فيها،
 واباد عوامل النماء عنها، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى
 يقول المرجفون والذين في قلوبهم مرض: انها اصبحت لغة مصابة بفقر
 الدم، وذبول الخليات، ومنيت بسائر اعراض الهرم فصارت عاجزة
 عن ان يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والمعلوم المصرية المتدفقة
 بالمصطلحات، وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي
 غير فقيرة، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها
 وهم في وادها مشتغلون، والفقر في تفكيرهم وهم لا يملون.

القلب

هو تقديم بعض حروف السكامة على بعض . وبذلك تولد كلمة

جديدة تنفق مع اصلها في مادة الحروف ، وتختلف عنها في الترتيب << مثل : صاعقة وصاقمة ، وخطيب مصبق ومصقع ، ويئس وايس ، وعاث في الارض وعثا فيها ، واثول والوث ، ونزع الشيطان بينهم ونفز ، وهو يتسكع ويتكسم اذا تحير ، ومرزاب السطح ومزراه ، وكلام وحشى وحوشى ، وم الاوباش والاوشاب ، اي الاخلاط من الناس .

وامثلة هذا كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في المزهرة جملة صالحة ، وقد الف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً . وعقده ابن دريد في جهرته باباً على حديثه ، وكذلك فعل ابو عبيدة في كتاب الغريب المصنف . وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة اللغوية الا من ناحية الالفاظ . اما المماي فانها لا تتكرر به اذ المقلوب والمقلوب عنه يدلان على معنى واحد . فان جذب وجذب يدلان على معنى واحد وان تعددا لفظا .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات فجذب عندم مثلاً لغة قبيلة وجذب لغة قبيلة اخرى ، وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان القلب قد دخله ليس بذلك ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم لاحدى اللغتين من التصارييف ما لم يتم للاخرى . فمندأذ يعتبرون اللفظة ذات التصريف اصلاً ، وذات التصريف الناقص فرعاً مثل :

يأس وايس فأنهم لما وجدوا للاولى منها مصدراً وهو اليأس ولم يجدوه
للاشياء ، قالوا ان الاولى اصل والثانية فرع . وليس هناك فائدة مهمة
من وراء هذا الخلاف الا من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت
القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظين مما ، او كانت تستعمل
لفظاً واحداً منهما ، ولللفظ الثاني تستعمله قبيلة اخرى سيأتي في باب
الترادف ما يأتي شيئاً من النور على هذه المسألة ، لان اللفظين في هذا
الباب لا يخرجان عن كونهما مترادفين سواء قلنا بالقلب او بتعدد
اللغات .

الابدال

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة
نفسها فتولد من ذلك كلمة اخرى جديدة . وبعبارة اخرى تصير الكلمة
الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعه . فتولد من
ذلك كلمة اخرى تدل على عين ما تدل عليه الاولى من المعنى فهو اخو
القلب من ناحية اثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل
منه يسمان في لغة القبيلة الواحدة . فالقبيلة التي تقول : « صراط » هي
نفسها تقول « سراط » . ويذهب المحققون الى ان العرب لا تنعد

تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لفظاً، لقبائل مختلفة تدل على معاني ممتدة، بأن تتقارب اللفظان في لغتين لمعنى واحد حتى أنها لا يختلفان إلا في حرف واحد. وعلى هذا لا تكلم القبيلة الواحدة بكلمة طوراً بالصاد وطوراً بالسين إنما يقول هذا قوم وذلك قوم آخرون.

ومن أمثلة هذا الباب قولهم: ضربة لازب ولازم، وتعلم وتعلم، والقطر والقطر للناحية، وجمعها: أقطار وأقنار. والخالة والخالة الرديء من كل شيء، والثوم والثوم وهو الخنطة. والثام والنام. وبثر وبثر ومد الحرف ومطه، والثري والبري... الخ والأمثلة كثيرة تكاد تفوت الحصر، حتى قال بعض المحققين قلما نجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البديل ولو نادراً. يريد به البديل السماعي. أما ما يذكره الصرفيون من أن حروف الإبدال تسعة (ا، ت، د، ط، م، هـ، و، ي)، فأنهم يريدون به الإبدال القياسي وهو مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الأفاضة فيه. وللإبدال السماعي دواعي كثيرة منها سهولة اللفظ بأحد الحرفين المبدل أو المبدل منه. ومنها - وهو أهمها - البيهة فإن لها الأثر البين في تنشئة اللسان، ولهذا نجد للقبائل اليمنية مثلاً تختلف في كثير من الألفاظ عن القبائل الحجازية، فإن هؤلاء ينطقون السين سيناً فيقولون الناس مثلاً وأولئك يلقبونها ناء فيقولون الناء، وهؤلاء يقولون: لييك وسعديك مثلاً، وأولئك: لبيش وسعديش بقلب الكاف شينا وهي شذوذهم:

وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونمنحه
فضل ايضاح ان شاء الله تعالى .

الترادف

من الالفاظ ما يؤدي معنى واحداً كرجل، وفرس، وبغداد، ومكة
مثلاً . ومنها ما يؤدي اكثر من معنى واحد على وجه الحقيقة مثل خال
فانه موضوع لآخي الام وللشامة المعروفة وللحجاب والمكبر .. الخ .
ومنها ما هو بالعكس ، معنى واحد يوضع للدلالة عليه اكثر من لفظ
واحد . فاهم مثلاً رضوا الحنطة ، والقمح ، والبر ، والقوم ، والثوم ،
للحب المروف . ووضوا للسيف خمسين اسماً وللأسد ثمان ، واكثر
منها للجمل . وامثلة هذا الباب كثيرة ، وقد افردته بالتأليف جماعة منهم
مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس ، وضع فيه كتاباً اسماء
« الروض المسلوب في ماله اسمان من المؤلف » وبعضهم افرد بالتأليف
اسماء بعض المعاني . فالف ابن خالويه كتاباً في اسماء الحية ، والف
الفيروزبادي كتاباً في اسماء العسل . وافرد السيوطي كتاباً في اسماء
الاسد . ومن الناس من ينكر المترادف في اللغة العربية ، ويرغم ان كل
ما يظن انه من المترادف انما هو من قبيل المتغايرات التي تختلف باختلاف
الصفات ومن ذهب الى هذا ابو الحسين احمد بن فارس ، قال في كتابه :
فقه اللغة المعروف بالاصحاحي « يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو

السيف ، والمهند ، والحسام ، والذي نقوله في هذا: ان الاسم واحد وهو
السيف وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهبنا ان كل صفة معناها غير
معنى الاخرى .

وهو مذهب ثملب وجماعة من محمقي اللغويين . وقد حكى بعضهم ان
جماعة من اهل الفضل فيهم ابن خالويه وابو علي الفارسي حضروا
في مجلس سيف الدولة في حلب فقال ابن خالويه : اني احفظ للسيف
خمسين اسماً ، فتبسم ابو علي الفارسي وقال : ما احفظ له الا اسماً واحداً
وهو السيف قال ابن خالويه : فان المهند والصارم وكذا وكذا .. فقال
ابو علي : هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

ومن الواضح ان الترادف خلاف الاصل لانه طريق الى الاسراف
في الالفاظ وهو خلاف المعقول ، لأن الالفاظ محصورة والمعاني غير
محصورة . إذ الالفاظ مركبة من الحروف الهجائية على اوضاع معينة
فلا بد ان تقف عند رقم معين . اما المعاني فهي بنات المحسوس وتناج
العقول فلا يمتل ان تقف عند حد ..

ومن ثم ينبغي ان يكون الاصل الاقتصاد في الالفاظ بقدر الطاقة
وعلى هذا ينبغي الا نقول بالترادف الا عندما يتعذر الحمل على غيره .
والحق ان معظم الالفاظ التي يقال في بادي الرأي انها متوطئة على معنى
واحد - هي في الواقع ليست كذلك . فاذا انت اذمنت النظر فيها تبين
لك ان كل لفظ منها يدل على معنى يختلف ولو قليلاً عما يدل عليه الالفاظ

الآخر . فاذا اخذنا لفظي الشك والريب مثلاً نجد الجمهور يفسرون
احدهما بالآخر، فيقولون في تفسير « لا ريب فيه » لا شك . مع ان بين
معنييهما اختلافاً بينا . فالشك يدل على مجرد التردد بين امرين لا يرجح
احدهما على الآخر ، مع ان الريب يدل على القلق والاضطراب في
النفوس متولدين من التردد الذي يدل عليه الشك ، فالريب شك مصحوب
بقلق واضطراب ، ومن ثم يقال : هو في شك مريب اي مقلق مزعج ،
ولا يقال هو في ريب مشكك ، وعلى هذا لا بد ان يسبق الريب بالشك ،
ولا عكس . ومثل ذلك : الظن والوهم ، فان الفكر اذا تردد بين امرين
وكان احدهما ارجح من الآخر فالجانب الراجح ظن والمرجوح وهم
(يسكون الهاء ، اما المفتوح الهاء فهو الخطأ) وكذلك اذا اخذنا الشرق
والغصص ، والشجى مثلاً : نجد الاول يدل على انسداد مجرى التنفس
بالماء وكل مائع ، والثاني يدل على انسداده بالطعام ، والثالث بالعظم وكل
صلب ، وبض اللغويين يفسر بض هذه الالفاظ بيمض .

ومثل هذا : جلس وقعد ، يظن أنها مترادفان ، مع ان اللفظة
الاولى لا تطلق على الهيئة المخصوصة الا اذا كانت عقب الاضطجاع
او الاستلقاء ونحوهما ، والثانية انما تطلق على تلك الهيئة اذا كانت عقب
الوقوف ونحوه . فيقال : كان مضطجماً جلس ، وكان واقفاً قعد .
فالجلس يكون بعد حالة هي دونه ، والقعود بعد حالة هي فوقه . واصل
مادة (ج ل س) تدل على الارتفاع ، ومنه قيل للذي ينزل نجداً جالساً ،

ومادة (ق ع د) تدل على الانخفاض ، ومنه قاعدة البناء لأساسه .

المشترك

من الالفاظ ما هو موضوع بازاء معنى واحد مثل : بغداد لهذه المدينة ، ومنها ما يدل على اكثر من معنى . وهذا اما ان يكون في الاصل موضوعا لمعنى واحد ثم استعمل في غيره لعلاقة بين المعنيين مع قرينة تمنع من ارادة المعنى الاصلي ، كلفظ الوطيس فانه موضوع في الاصل للتور ، ويطلق على شدة بأس الحرب لما بينهما من المناسبة الظاهرة ، فيقال : حمى الوطيس ، او حمى وطيس الحرب ، وهو في المعنى الاول حقيقة ، وفي الثاني مجاز . وقد يشتهر اللفظ في معناه المجازي بحيث يتبادر الى الذهن بمجرد اطلاقه مجرداً عن القرائن . فان كان الاشتهار عند اهل الشرع سمي حقيقة شرعية او منقولاً شرعياً ، مثل الصلاة ، والزكاة ، والوضوء ، والتميم . وان كان الاشتهار عند اهل العلوم سمي حقيقة اصطلاحية او منقولاً اصطلاحياً كالضرب والطرح ، والقائمة والحادة عند الرياضيين ، والتميز والمبتدأ والخبر والضممة والفتحة والكسرة والسكون عند علماء العربية ، وان كان الاشتهار في العرف العامة سمي حقيقة عرفية او منقولاً عرفياً ، كالحیوان للبهيمة خاصة مع انه في الاصل اعم من البهائم وغيرها . واما ان يكون اللفظ في الاصل موضوعاً لكل واحد من تلك المعاني بوضع مستقل فهو المشترك .

فالمشترك اذاً هو اللفظ الموضوع لمعنيين فاكثر باوضاع متعددة ، كلفظ الخال فانه موضوع لأخ الام وللشامة وللسحاب . وامثلة المشترك كثيرة جداً ، فقد ذكروا لبعض الالفاظ معنيين مثل : العم لأخ الاب وللجمع الكثير ، وذكروا لبعضها ثلاثة معان مثل : النوى لمعناه المعروف وللنية وللبعد . ولبعضها اربع معان مثل : الروبة « الروبة » من غير همز ، لحجرة اللبن ، وجمام ماء الفحل ، وما يلزم به المرء من الاعمال ، وقطعة من الليل . وذكروا لبعض الالفاظ خمسة معان الى العشرة بل الى العشرات مثل : الخال والعين حتى ان كثيراً من الشعراء نظموا القصائد الخاليات والعينيّات ، بان جعلوا قوافيها لفظ الخال او العين من اول القصيدة الى آخرها .

وانكر بعضهم ورود المشترك في الالفة قائلاً ان الالفة انما وضعت الابانة عن المعاني ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين فاكثر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية .

ولا شك في ورود المشترك ، واما ما ذكره المعترض فلا يخرج عن كونه عيباً من عيوب الاشتراك وهنة من هنواته . ولا يمكن ان يلزم من كون الشيء معيياً ان يكون مفقوداً فلو هب لعصار فاملك الزرع والضرع فهل يحمل بنا ان نكر وجود لعصار لانه مضر في ذاته ؟! هذا ما لا يقوله عاقل .. على ان وقوع المشترك يكاد يكون طبيعياً في اللغة ، وذلك لأن الالفاظ مركبة من الحروف وهي محدودة والمعاني

كثيرة ولا تزال تتجدد ولا تنتهي ، فلاقتصاد في استعمال الالفاظ يعنى بجمل اللفظ موضوعا بازاء اكثر من معنى والتميز يكون بالقراثن الحالية او المقالية . فمن قال مثلا : في خد فلان خال لا يشته به الشامة ، واذا اشار الى رجل قائلا : هذا خالي ، فلا شك بانه اخو امه .

واسباب الاشتراك كثيرة ، منها : اختلاف الوضع باختلاف الواضعين كأن يضع بعض الناس لفظا بازاء معنى ، ثم يضمه الآخرون بازاء معنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بذينك المعنيين عند كلا القبيلين . ثم بتطاول الازمان ينسى اختلاف الواضعين . ومنها كثرة استعمال المجاز حتى يشتهر ويصبح كأنه حقيقة في احدهما ومجازاً في الآخر ، مثل العين لريثة القوم ، فانه في الاصل مجاز من اطلاق الجزء وارادة الكل ، ولكنه اشتهر في الاستعمال حتى اصبح اللغويون يعدونه في جملة معاني العين المشتركة . وعلى ذلك كثير من الالفاظ التي تعد اليوم في زمرة المشترك . وهي في الاصل حقيقة ومجاز . وهذا هو السر في توهم بعض الناس لهذا العهد بان عرب الجاهلية تقلل من استعمال المجاز في شعرها ونثرها . والواقع ان اولئك العرب كثيرهم كانوا يكثر من استعمال المجاز ولكنه لما اشتهرت تلك المعاني المجازية وتطاول عليها العمر اصبحت تتراعى لنا اليوم كأنها حقائق . فاز اعوزتلك الامثلة الكثيرة في هذا الشأن فارجم الى معاجم اللغة ودواوين الادب نجد الشيء الكثير من

طلبتك . وعليك بأساس البلاغة للزمخشري فإنه اعذب مورد في هذا الباب .

الاضداد

قد يدل اللفظ المشترك على معنيين فأكثر يمكن اجتماعها او اجتماعها في شيء واحد ، وقد لا يمكن هذا الاجتماع فيدل اللفظ الواحد على الشيء وعلى ضده كالجون للأسود والابيض . ويطلق عليه اهل اللغة اسم الضد . ويقال فيه ما يقال في المشترك من الورد وعدمه . واسباب ذلك لانه فرع من فروع لا يختلف عنه الا من جهة انه يدل على الشيء وضده فقط . وامثله كثيرة . وقد افرد جماعة بالتأليف منهم : المبرد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ومنهم التوزي ومنهم ابو البركات ابن الانباري وابن الدهان والصغاني ، ومنهم ابو بكر ابن الانباري وكتابه مطبوع متداول ، وقد ذكر في صدره السر في ورود اسماء الاضداد في اللغة ، فارجم اليه ان شئت .

المجاز

لا يختلف اثنان بان المجاز من اهم عوامل التوسع في مناحي الاستعمال اللغوي . فاذا اشترت فرسا وقلت اشتريت بحراً مثلاً اي انه ينضب في الجرى انصباب ماء البحر كأنك تكون قد زدت في اسمائه لفظاً كما انك زدت في مدلول لفظه « بحر » معنى جديداً وهو

الفرس القوي ، السريع الجرى . ومثل هذا اطلاق الرحمة على الجنة في قوله تعالى : « في رحمة الله هم خالدون . » فانك قد زدت في اسماء المكان لفظا كما انك زدت في مدلول الرحمة معنى جديداً
وقد علمنا في باب الترادف ان كثيراً من المجازات تصبح بسبب كثرة الاستعمال حقائق . واذا انت تأملت المستعمل من الكلام تجد للمجاز فيه حظا ليس بالقليل حتى ذهب ابو الفتح ابن جنى ومن تبعه الى ان اكثر اللغة من هذا القليل . وقد عمد لذلك بابا في كتاب الخصائص اورد فيه الكثير من الامثلة ، ودعم مدعاه بالمقول من الأدلة ..

ويعتقد ابو الفتح ان المجاز انما يقع ويمدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه . فاستعمال البحر في الفرس مثلاً فيه اتساع كما ذكرنا وفيه تشبيه لان جريه يجري في الكثرة مجرى ماء البحر ، وفيه توكيد لانه شبه المرض وهو الجرى بالجواهر وهو البحر ، والجواهر أثبت في النفوس من المرض . والمجاز زيادة على كونه عاملاً من عوامل اتساع اللغة وهو حلية من انخر حلاها ترينت به بعد ان ضرب العرب في النهضة الاجتماعية بهم .

والحق ان المجاز ثالث ثلاثة في توسيع رقعة اللغة ، فكان عمدة القوم في بادئ الامر على الارتجال ثم لما توفر لديهم طائفة من الالفاظ المترجلة ركنوا الى الاخذ بالاشتقاق والتوسل بأساليبه المختلفة . وعندما يموزهم

الاشتقاق يعمدون الى المجاز .

ويقارب هذه العوامل الثلاثة في خدمة التوسع التعريب والكنياة
اخت المجاز . يقال فيها ما يقال فيه فلا حاجة الى التكرار .

اللفاظ الاسلامية

جاء الاسلام والامية فاشية في العرب ، والجهل ضارب بجراحه فيما
بينهم فامدهم بما لا عهد لهم به من العلم الكثير ، والانقلاب العظيم
فتكاثرت المصطلحات الجديدة وعب عباها فتمطت اللغة عند ذاك
وفتحت صدرها الرحب لضم تلك المصطلحات بمعانيها الجديدة ولم
تضق ذرءاً بتحمل ما حملته في هذا السبيل بل نهضت بكل ذاك نهوض
القادر الامين بمدان كان العربي لا يفقه من شئون دينه وديناه الا النزر
الدييط جاءه القرآن والسنة بالفيض الفاضل منها . ثم جاءت الفتوح
واتسع سلطان القوم فازدحت اللغة بالمصطلحات الكثيرة التي افنضتها
الامواضع السياسية والادارية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية ثم لم
تزل الاحداث تتوالى والاحكام تتجدد وتكثر بتجدد الاحداث
وتكاثرها الى ان استوى لدى القوم من المصطلحات الشيء الكثير حتى
انهم افردوها بالتأليف ، وكثرت فيها التصانيف ..

وليس معنى هذا ان تلك المصطلحات كلها ارتجبات ارتجالاً
وابتدعت ابتداءً وانما جلها معاني جديدة نقلت اليها الفاظ من اللغة

كانت مستعملة في معاني اخرى تتناسب مع المعاني الشرعية ، وربما عرّبت الشريعة بعض الالفاظ بمعانيها ومن امثلة المصطلحات الاسلامية : الصلاة واصحابها في لفهم الدعاء والترحم ثم نقلها الشرع الى المعنى المعروف للمناسبة الظاهرة . ومن ذلك الركوع ، واصله الخضوع فنقله الشرع الى الهيئة المخصوصة ، ومثله السجود فان اصله التطامن والذلة وهو في الشرع عبارة عن الهيئة المخصوصة ، ومن ذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء . ومن ذلك المحرم للشهر المعروف فانه لم يكن معروفاً في الجاهلية وانما كان يقال له ولصفر الصفران . وكان اول الصفرين من الاشهر الحرم . وكانت العرب تارة تحرمه وتارة تقاتل فيه . فلما جاء الاسلام وابطل النبي ﷺ سماه النبي (ﷺ) شهر الله الحرام . ومن ذلك الجاهلية فانه اسم حدث في الاسلام للزمان الذي كان قبل البعثة . ومن ذلك العاسق واصله خروج شيء من الشيء على وجه الفساد . يقال : فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسق . ثم نقله الاسلام الى الخروج عن الطاعة . والامثلة في هذا اكثر من ان يحاط بها . ومن اراد التوسع في هذا الباب فليراجع الكتب الشرعية من التفسير وغريب الحديث واصول الدين والفقه واصوله فانه يقف على فيض من تلك المصطلحات المبنية هنا وهناك . وتجدهم هناك يقولون لهذه اللفظة معنيان معنى في اللغة ومعنى في الشريعة . وانما انفردت الالفاظ الاسلامية عن سائر مصطلحات

العلوم كالعربية وغيرها لما للشرع من معنى الشمول . فان الالفاظ الشرعية تتمتع من الانتشار والشمول بما لا تتمتع به مصطلحات العلوم الاخرى . فان الذين يعرفون الصلاة - مثلاً - بمعناها الشرعي اكثر بكثير من الذين يعرفونها بمعناها اللغوي . اما مصطلحات العلوم المختلفة فان معرفتها بمعانيها الاصطلاحية متصورة على اهل تلك العلوم ، فمصطلحات النحو - مثلاً - لا يفهمها سوى النحوي . ومصطلحات العروض لا يعرفها غير العروضي ، خلاف المصطلحات الشرعية فانها مشاعة بين جميع افراد الامة عامتهم وخاصتهم .

واستعمال الالفاظ الشرعية بمعانيها الشرعية من قبيل الحقائق عند اهل الشرع واستعمالها بمعانيها اللغوية من قبيل المجازات عندهم ، والامر عند اللغويين بالاكس . فالصلاة بمعناها الشرعي حقيقة عند الشرعيين مجاز عند اللغويين وهي بمعناها اللغوي مجاز عند الشرعيين حقيقة عند اللغويين . ولهذا يقول علماء البلاغة ان الحقيقة اقسام منها اللغوية ومنها الشرعية . وكذلك المجاز منه الشرعي ومنه اللغوي .

المصطلح

قلنا ان الالفاظ الشرعية لا تخرج عن كونها مصطلحات وليكنها اوسع شمولاً من مصطلحات سائر العلوم لان اتباع الشرع اكثر عديداً من اتباع كل علم من العلوم الاخرى على حدته ، ولما اتسع نطاق المعارف

وبسقت دوحها وتبارت العقول في خدمتها وتنميتها وانماز كل علم منها بمسائله وقواعده . من علوم شرعية الى لسانية الى كونية وتكاثفت اغصانها وفروعها - احتاجوا الى كل فرع منها الى وضع مصطلحات كثيرة للمعاني الكثيرة التي زخرت بها تلك العلوم . فمصطلحات العلوم اللسانية تختلف عن مصطلحات العلوم الشرعية . وهذه تختلف عن مصطلحات علوم الفلاسفة مثلا . فالعامل عند النحوي مثلا غيره عند الفقيه والفيلسوف . وكذلك الكلام والتمييز والحال والاعراب والبناء الى غير ذلك من الكلم التي اصطلح عليها اهل كل علم في علمهم . وكان ارباب العلوم اذا جد لهم معنى وضمواله لفظا يناسبه فان اعوزهم فزعوا الى الاشتقاق او النحت او غيرها وقد يتصرفون في اللغة تصرفا يغضب اللغويين او المصرفين ولا يبالون بذلك اذا ارضوا المعنى الذي يريدونه ، فقالوا : اللادرية او العندية والمتى والابن .. الخ . واذا ضنت عليهم العربية او بالاصح لم يتوقفوا للوصول الى بفتهم منها فزعوا الى التعريب فقالوا : سفسطائية واسططس وايساغوجي ، واقرباذن .. الخ

وقد تمايزت مصطلحات كل علم عن غيرها ، واذا ضمت مصطلحات العلوم المختلفة الى بعضها يتوفر لديك مجمع ضخم له شأنه . وقد فعل ذلك بعض المتأخرين فتم لديهم الشيء الكثير . ومجموع ذلك يؤلف لغة قائمة بنفسها هي لغة العلم ، وعليها المعمول في كل لسان .

وأنا أرى أن معجم المصطلحات يجب أن يسبق المعجم اللغوي
لأنه الزم، والانتفاع به أكثر..

اللفاظ المولدة

قلنا أن المنابع الكبرى التي استقيت منها اللغة العربية إنما هي ✓
القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب الموثوق بعرييتهم ومن
المعلوم أن القرآن تم قبل انتقال الرسول إلى الملاء الأعلى بزمن يسير
وأن الحديث النبوي ختم بانتقاله ، فبقى كلام العرب الموثوق بعرييتهم
واستمرت الثقة به إلى أن اختلت سلائق القوم واضطربت سننهم
على أثر اختلاطهم بحمراء الأمم وصفرائها فما كاد ينطوي بساط القرن
الأول الهجري حتى انقضى عمر الاعتماد على كلام المنحصرة من العرب
أما العرب؟ فامتد أجل الثقة بكلامهم إلى ما بعد القرن الأول ، ولكنه لم
يطل إلى ما بعد القرن الثالث إلا في قبائل قليلة كانت معتصمة في شعاف
بعض الجبال المنقطعة عن العمران ، أو الضاربة في بعض البوادي النائية
التي لا تتصل بالحضر إلا في القليل ، وهم شراذم لا يعتمد بهم ، فالاخذ
عن حاضرة العرب ومن يتصل بها أو يكثر التردد إليها من أهل البادية
ينتهي بجزير والفرزدق ومن في طبقتها ، ومن هناك تبدأ طبقة المولدين
من مخضرمي الدوائن وعلى رأسها بشار وحماة وعبد الواله بن الحباب
ومن في طبقتهم فما حدث في عهد هذه الطبقة وما بعدها من اللفاظ

يسمى مولداً ، وبعبارة اخرى ما احدثه المولدون من الالفاظ يسمى المولد ، ويقال بالعربي . فيقال هذه لفظة مولدة وهذه عربية ، كما يقابل المغرب والدخيل بالعربي الصميم . فيقال هذا لفظ مغرب وهذا من الصميم ..

وامثلة الالفاظ المولدة كثيرة تكاد تفوت الحصر من ذلك :
 التحرير كان الاصمعي يقول : انه ليس من كلام العرب وانما هو مولد .
 وأخ كلمة تقال عند التألم والتأوه والعربي اح بالحاء المهملة . ومن المولد السكابوس وهو ما يشعر به النائم من الثقل ، ومنه الفطرة والعربي صدقة الفطر او زكاة الفطر ، وهي من الالفاظ الاسلامية ومنه التفرج .
 قال النووي : ولعله مأخوذ من انفراج النعم ، ومنه الجبرية والقدرية من مذاهب المتكلمين . الاول يطلق على من يقول الانسان مضطر في افعاله غير مختار ، والثاني يطلق على من يقول بان الانسان فاعل باختياره وخالق لافعاله ، ويقال للاولين اهل الجبر وللآخرين اهل القدر .
 ومنه الطفيلي وهو من يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها ، وطفيل رجل كوفي كان يغشى الولائم من غير دعوة ويبالغ في ذلك فنسب اليه كل من يفعل مثل فعله ، وعرييه الضيفن لمن يجيء مع الضيف من غير دعوة ، والوارش لمن يدخل على القوم في طعامهم فيأكل من غير دعوة . والواغل لمن يدخل على القوم في شربهم فيشرب معهم من غير ان يدعى الى الشرب . ومن المولد المحرقة وهي الافتعال والاحتفال ،

ومنه البجران وهو اعلی ما یصل الیه المریض من الشدة وليس بیده الا الموت او البدء بکسر سورة المرض شیئا فشیئا ، وهي اصطلاح طبي ، ومنه تبغدد اذا تشبه بالبعیدادین وليس منهم ، ومنه : بس بمعنى حسب ، وقيل هو عربی مأخوذ من البس وهو القطع والنشدوا :

یحدثنا عید مالقینا فبسک یا عید من الکلام

وانت ترى ان البس بمعنى القطع ثلاثي ، ولفظ بس المستعمل بمعنى حسب ثنائي وشتان بينهما . نعم لو قال قائل لآخر بسا اي بس كلامك بسا بمعنى اقطعه قطعا لكان صوابا . ومنه التخمين وهو القول بالحدس ، ومنه النشار للذیان والاقذاع في القوال .

تخيب

يعد من المولد كل لفظ كان عربي الاصل ثم غيرته الامة تغييرا ما ، بأن كان ساكنا فحركته او متحرکا فسكنته ، او هموزا فتركت همزه او بالمكس ، او قدمت بعض حروفه على بعض او حذفت وما الى ذلك .. مثال ذلك ان العرب تقول : في رجل سمح وفي اسنانه حفر وفي بطنه معنس او منص وحدث في الناس شغب ، وجبل وعر ، وبلد وحش ، وحلبس في حلقة القوم كل ذلك بسكون العين والدالة تحرکها ..

وتقول العرب : اصيب فلان بالنخمة وهو من النخمة اي الخيار

وهذه لقطة وهي تحفه ، وتناول الصبر للدواء المر المعروف ، وطامت الزهرة للنجم المعروف وسمف النخل ، والسحنة للهيئة كل ذلك بالتحريك والعامية تسمكـنه . والعرب تقول : هنأني الطعام ومرأني وطرأت على القوم وترأست عليهم كل ذلك بالهمز والعامية تتركه . والعرب تقول : رجل عذب ، وهذه كرة ، واتمسه الله وكبه لوجهه والعامية تزيد فيه الهمزة فنقول : رجل اعذب ، وهذه اكره ، واتمسه الله ، واكبه لوجهه . وامثلة ذلك كثيرة تجدها مبثوثة في ثنايا معاجم اللغة ودواوين الادب . وقد افرد بالتأليف جماعة منهم : الموفق البغدادي في ذيل الفصيح ، والحري في درة النواص في اوهام الخواص . وقد عقد له ابن قتيبة في ادب الكاتب اكثر من باب ، وعقد له الجلال السيوطي باباً خاصاً في الجزء الاول من كتابه المزهر في علوم اللغة وانواعها .

المعرب والتعريب

المعرب ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ لمان في غير لغتها ، وقد اشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من المعجم نكرةً مثل ابريم وجوقه وسرداب . فاذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحق فلا يسمى معرباً وانما يسمى اعجمياً .

ومن هذا تعلم ان التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية الى اللغة

العربية بتغيير او، بدونه ويسمى الاعراب ايضا. مثال ما تغير عند التعريب «سكر» فانه معرب «شكر» واقليد وهو المفتاح فانه معرب «كليد» وبنفسج، فانه معرب «بنفسه»، وهزمن فانه معرب «انجمن» لجميع الناس. ومثال ما عرب من غير تغيير النوروز، والكاغذ، والبنخت بمعنى الحظ. هذا ولا جرم ان استمداد لغة من اخرى يعد من اساليب نمائها، فالتعريب بالنسبة للغة العربية احد عوامل توسعها، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم حتى اصبحت من لحمها ودمها وما من ذلك عليها من عاب، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية وفي عداد هذه الاغذية ما تنزعه لغة من اخرى من مختلف الكلم هذا اذا كانت اللغة قوية البنية، والا فقد تكون بعض اللغات مرضى خصبيا ليمض آخر تأكل ما تشاء وتذر ما تشاء كما وقع في اللغة التركية فانها عاثت بجاراتها العربية والفارسية وأكلت منها اكل النهم الشره ولكنها بشتت وعسر عليها هضم ما ازدرته فخارت في امرها ولم تزل حائرة ...

واما لغتنا العزيزة فهي - والله الحمد - من اقوى اللغات على الهضم والتمثيل تنزع اللفظة من اية لغة شاءت ثم ترددها فلا تبرح ان تهضمها وتمثلها ايماء تمثيل وتجري عليها تصاريدها وتصبح كأنها في الصميم منها. حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتمسرون بل

يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصيل من الدخيل حتى ادى الامر ببعضهم الى انكار ان يكون فيها شيء من غيرها البتة وانقلب الامر على آخري فآخذوا يفككون عراها وينكشونها نكشا ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبون له الى غير اصله ويردونه الى غير اهله ، وما ظنك بقوم بالغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى اخرجوا لفظ « الادب » من صميم لغة العرب ، وهذا - لعمرك - شذوذ في الشذوذ ، وتطرف في التطرف . ولنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام ، ولكننا نريد ان نقول : ان اهم ما يجتنيه الباحث من الثمر في باب التعريب هو الالمام بطرقه التي سار عليها اسلافنا لان معرفة تلك الطرق وسير منرجاتها من اهم ما نستعين به في تدليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفقت انهارها .

نحن لا نشك في ان اولينا كانوا يسرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ويكلفونها فوق طاقتها ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ، ويشبع نهمها ، حتى اوصلوها الى ما اوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان فوعت عنهم ما شاؤوا ان يوعوها من علم وادب ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس كالم ييخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتفذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بأن اللغة بمدحجي* القرآن الكريم والنهضة
 الإسلامية غيرها قباها، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر
 الاسلام فاذا قرنت بين لغة العلوم اللسانية والشرعية والكونية ولغة
 عرب الجاهلية تجد البون بعيداً والمسافة قصية وهل يرتاب مراتب في
 ان لغة الغزالي والرازي وابن رشد في تأليفهم تختلف عن لغة امرئ
 القيس والناطقة وزهير وان لغة هؤلاء لو لم يتعدها اهل المعرفة بالخدمة
 والتوسع والعقل والتهذيب لضاعت ذرعاً بتلك العلوم الكثيرة
 والمعارف الغزيرة ..

اما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نتف
 موقف الجبان المتهيب وما علينا الا ان نشق لنا طريقاً لا حبا من بين هذه
 العقاب المنيعه وننخذ من اعمال اولينا مناراً نأتم به في عملنا ونستير به في
 هذه السبيل ولهذا كان من واجب ابناء العربية لهذا العهد ان يتلوا هذه
 الناحية بحثاً ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للفتهم
 هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطوراً هائلاً وصار من
 البعيد ان تقوم قائمة للغة الا اذا مشت مع افكار بنينا كتفا لاكتف،
 وسننشر في آخر هذه المحاضرة نماذج من طرق التعريب التي سلكها
 الاولون وعلى الباحث ان يرجع الى ما افرد به العلماء من التأليف المهمة في
 هذا الباب الواسع ...

وذهب أناس الى ان ضبط الكلمات ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها وكيفية استعمالها يغنى عن معرفة ان هذه الكلمة اصل في اللغة او مستعارة ، ولا سيما بعد ان نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث ان يأخذ مكانه من اللغة المستعمرة ويكون له ما للاصيل وعليه ما عليه فاي فائدة تعود علينا من البحث عن اصله والرجع الى سنخه وهل هذا الا ضرب من ضروب البعث ولون من الوان الالهو بالباطل ، وذهب آخرون الى ان هذه المباحث حجة الفوائد كثيرة الثمر وهي اكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها واقوى نصير في معرفة اسرار نماذجها وعوامل بقائها الى غير ذلك من الفوائد التاريخية واللغوية .

يماذا بعرف العرب :

الاصل في كل كلمة تستعملها العرب ان تكون عربية النجار الى ان يقوم الدليل القاطع على انها معربة . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها او مقارنتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية . اذ قد تكون الكلمة في العربية اصلا وقد نقلها المعجم الى لغتهم مثل لفظة « اجل » فانها اصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب الى لغاتهم ، كما قد تكون الكلمة اصلا في اكثر من لغة لانها موروثة من لغة قديمة اندثرت بعد ان ولدت عدة لغات مثال ذلك كلمة « ارض » المستعملة في العربية والانجليزية وغيرها . فان الارض معصورة بالاعم منذ

وجدت الاعم فلا يعقل ان امة من الاعم بقيت لا تعرف للارض اسما الى ان سمعته من امة اخرى فاستعارنه منها هذا امر تحيله العادة .

وهذا الباب من اضيق الابواب واغمضا ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز اوعر المسالك واصعبها ومن ثم نجد اقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل فترام حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة فينما ترام ينسبون كلمات هي من العريه في الصميم الى نجار عجمي اذ ترام يلصقون بالعريه كلمات هي من صميم العجمية واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق . وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ورضيت من الغنيمة بالاياب ، وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على حآن لها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوه :

احدها - النقل بان ينقل ذلك احد الاعلام .

الثاني - خروج الكلمة عن اوزان الاسماء العربية مثل الابرديم فان هذا الوزن مفقود في ابنية الاسماء العربية فلذلك اختلفوا في ضبطه - لانهم قد يخطون فيما ليس من كلامهم ولو كان من الاوزان العربية لما اخطأهم ضبطه ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف

الثالث - ان يكون اول الاسم نونا بعدها راء مثل « نرجس »

فانه معرب « نركسي »

الرابع — ان يكون آخر الكلمة زاياً ^{عَبْل} بَعْدَهَا دال مثل « مهندس »
ولذلك قلوا فيه « مهندس » ليعمدوا عما لا الف لهم به .

الخامس — ان يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل « الصولجان »
و « الحبص » فانهما معربان « كوجان » و « كيج »

السادس — ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل « منجنيق » للآلة
الحربية المعروفة « والجردقة » للرغيف ، و « الجر موق » للذي يلبس
فوق الخف ، و « الجوسق » للقصر و « الجواق » للوعاء المعروف
« جواله » والجلاق للبنديق والجوفة للجماعة من الناس ..

السابع — ان يكون الاسم رباعياً او خماسياً وهو خال من احد
حروف الذلاقة وهي « ب ، ر ، ف ، ل ، م ، ن » يجمعها قولك « فر
من لب » وهي اخف الحروف ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية
والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض
هذه الحروف لتنعو بها نحو الخفة ، مثل « الزاوق » فانه لغة في
« الزئبق » وشذ عن هذا الاصل كلمة « عسجد » فانهم قالوا بعريتها
مع انها خالية من حروف الذلاقة . وقال الازهرى في التهذيب ،
متعقباً على الوجه الخامس ، قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات
العربية من ذلك قولهم جصص الجرو اذا فتح عينيه ، وجصص فلان
اناءه اذا ملأه . والضحج ضرب الحديد بالحديد .

الثامن — ان يجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل « الطازج » فانه معرب (تازّه) وهو الطرى

التاسع — ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل « الاصطفلية » وهي الجزرة فانها معربة . واما الصراط والصاد فيه بدل السين اذ اصله السراط مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة ..

العاشر — ان يجتمع في الاسم السين والذال مثل « ساذج » فانه معرب « ساده » وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون دلى لون واحد لا يخالط غيره .

الحادي عشر — ان يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل « سزاب » وهي بقلة معروفة فانها معربة .

الثاني عشر — ان يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعدها لام في كلمة عربية محضة لان اللهينات كلها في كلام العرب قبل اللامات . فكلمة التفليس بمعنى الهدم ليست عربية بخلاف كلمة « شغل » وقال الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » : ان الجيم لا تقارن الظاء ولا السين ولا الصاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

هذا يحمل ما وضعه الاقدمون من الاعلام في هذه السبيل وقد توصل علماء اللغات لهذا المهد الى اصول في هذا الباب كان يمز على

الاقدمين الوصول الى بعضها وما ذلك الا لانصراف جماعات المستشرقين الى دراسة اللغات المختلفة ولا سيما القديمة منها والايغال في احشاء القرون البعيدة واستشارة دفاتها وبذل الوسع في دراسة اصول اللغات وفقها والاحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها وقد صدر واعدت هذه المباحث وهم يحملون من العلم ما كان مطمورا في غيابة التاريخ البعيد، فاذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل واليه يرجع امر القدر والحل، ومن امثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : اذا اتفقت كلمتان لفظا ومعنى وكان بين اهل هاتين اللغتين صلوات جغرافية او تجارية او سياسية او نحوها مباشرة او بالواسطة ينظر فاذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح احدى تينك اللغتين او من مصنوعاتهما او من منتوجات بلادهم وعاصيلها يرجح ان يكون اصلاً في تلك اللغة منقولاً منها الى غيرها . مثال ذلك الساعة فان العرب كانت تطاها على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما ابدعوا الآلة المعروفة التي تدل على اجزاء الزمن وتمييزها اطلقوا عليها هذه اللفظة .. فهم اسبق الاسم الى تسمية الآلة بهذا الاسم فاذا سمعنا الفرس او الترك مثلاً استعمالوا هذه اللفظة بهذا المعنى نقطع بأنهم استعاروها من اللغة العربية . ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم . مثل عطف واصنافه وتمييز وغيرها فاذا رأينا بعض الاسماء الشرقية

استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب او في معان تقرب منها
 نجزم بانهم استعاروها من اللغة العربية . هذا اذا علمنا بان العرب دونوا
 هذه المصطلحات قبل غيرهم . ومن ذلك كلمة القهوة فانها موجودة في
 العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا ان العرب كانوا يطلقون هذه
 اللفظة على الحمر ثم اطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن وهي
 من منتوجات بلاد اليمن في الاصل ثم انتقلت الى البلاد الاخرى ، اذا
 علمنا هذا نقطع بان هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار ، ومن ذلك الجمل
 والفرس ونحوها من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب او كانت
 خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها ..

واذا علمنا ان المسك مثلاً ينتج في بلاد التبت والصين وبعض
 بلاد الهند ومنها يحمل الى سائر بلاد العالم وعلمنا ان هذه اللفظة
 مستعملة في السنسكريتية الاصل والفارسية والعربية وغيرها - نعلم ان
 هذه اللفظة بمنهاها هذا سنسكريتية الاصل ، ومنها انتقلت الى غيرها
 من اللغات مباشرة او بالواسطة ، ومثل ذلك الكافور فانه في
 السنسكريتية وغيرها ولكننا اذا عرفنا ان مصدر هذا النوع من الطيب
 بلاد الصين واليابان وملقا وان اسمه باللغة الملقية « كابور » عرفنا انها كلمة
 ملقية الاصل ، ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل
 فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية « بيالا » او
 « فيفالا » . والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

قلنا : ان المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استشارة دقائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ، ودرسوا اصولها درساً دقيقاً ، واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة والصرف والنحو وغيرها وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد ارجعوا كل طائفة من اللغات الى اصل واحد وهذا الاصل اما ان يكون باقياً او منذراً فاصول الباقية هي التي سارع اهلها الى تدوينها منذ العصور القديمة العريقة بالقدم ، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طيات القرون الخالية ، اما فروعها فنمت واورقت ثم اثمرت ، ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فاذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والبرانية والكادانية مثلاً بنات لأم واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم ان كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات ، فاذا رأينا لفظة في اكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد او على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجح ان تكون هذه اللفظة من ميراث اللغة الأم فهي اصل في كل منها ، وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تخلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها اصلاً في هذه اللغة ..

وعلى هذا وضوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في

لغتين أو أكثر ترجع إلى أصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في أخوات
أحدى اللغتين أو اللغات يرجعون انتسابها إلى اللغة الأخرى . مثال
ذلك إذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلاً ولم يجدوها في
العربية ولا السكندانية يرجعون أنها مصرية ..

هل التفسير ضروري في التعريب ؟

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل : بحث
ونوروز ومنها ما يجري عليه التغيير يسيراً كان أو كثيراً .

والأصل في هذا الباب عدم التغيير ، وإبقاء الأصل على حاله إلا
إذا دعت إلى التغيير ضرورة فيصير إليه ، ولكن التغيير يكون بقدر ما
قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ، ومع هذا فإن كثيراً ما
نجد تغييراً لا تدعوا إليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة . مثال ذلك :
« السكلك » فانه معرب « كلك » قلبت ألفه عيناً من غير ضرورة
داعية و « الدهقان » معرب « ده خان » أي رئيس القرية ومقدم أهل
الزراعة من المعجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغيير لازم وآخر غير لازم مثل
كلمة « البد » بمعنى الضم فانه معرب « بت » قلبت فيه الباء الفارسية
المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لثلاث يدخل في الحروف العربية ما
ليس منها . وقلب التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر ..

واسباب التغير كثيرة منها اشمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما اشرنا الى ذلك في اول هذا البحث. ومنها ان يكون في الكلمة الأعجمية حركة لا وجود لها في العربية او هي موجودة في لغة صنيعة مثل كلمة « زور » بمعنى القوة فانها معربة من كلمة « زور » بضمة مشوبة بالفتحة ، فبدلت عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ، ومنها الثقل مثل « ناي » آلة الطرب المعروفة فانها معرب « ناي زمين » وقد حذف شطرها الثاني للخنفة ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل « صك » بتشديد الكاف ، فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً . ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدؤة بحرف ساكن فيضطر عند التعريب الى تحريكه او زيادة همزة قبله مثل هليلج واهليلج معرب « هليله » وهو الثمر المعروف . ومنها ان يجتمع في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان ساكنونا على غير حده فيحرك احدهما مثل « ازن » تعريب « آزن » كما تقدم . ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فان كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية « دوره » لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و « لوزينه » لنوع من الحلوى و « روزونه » للأكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيما وهو الاكثر ورعيا قلبوها قافا او تاء

فقالوا : لوزينج ، ودورق وروزونة وقد تقلب هذه الهاء كافا وعليه
اعربوا كلمة « نيزه » وهو الومح القصير الى « نيزك »

واسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الأعلام في
وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الامكان حتى قال بعضهم : يجب
صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كان ذلك من المؤونة فيجب ان
ننطق بها كما ينطق اهلها من غير ادنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه
عسر التطبيق لان الحكم على الالسننة باجراء ما لا عهد لهابه امر غير
يسير كما يشهد به الواقع .

هل يجب الحاق المغرب باوزان الكلام العربية ؟

ذهب بعض اللغويين الى انه يجب الحاق المغرب باوزان كلام العرب
قال الحريري : من مذهب العرب انهم ان اعربوا الاسم الاعجمي
يردونه الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة ، وقد كرر هذا
الرأي في غير ما موضع من كتابه « درة القواص في اوهام الخواص »
منها ما جاء في صفحة ٦١ من طبعة الجوائب في بحث دستور ، وفي
الصفحة ٨٠ في بحث الشطرنج . وقد انكر عليه شراح كلامه هذا
الرأي وعدوه من اوهامه .

والذي عليه جمهور علماء اللغة انه لا يجب في المغرب ان يرد الى
اوزان كلام العرب . وقد جاء في كتاب سيبويه ان الاسم المغرب ربما

الحقوه بابنية كلامهم وربما لم يلحقوه . فما الحقوه بأبنيتهم درهم وبهرج ،
ومما لم يلحقوه الا فرند والاجر الى آخر ما فصله . وقد اوضح هذه
الناحية ابو منصور الجواليقي في كتاب « المعرب » ، وابن السيد
البطليوسي في كتاب « الاقنصاب في شرح ادب الكتاب » في باب
ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بمض حروفه في الصفحة ٢١٥ من
طبعة بيروت سنة ١٩٠١

وبالجملة فان الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد العربات الى
ابنية اللغة العربية ولكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة لتكون
العربات المقحمة على العربية شبيهة باوزانها ولذلك استعملوا « نيروز »
اكثر من نوروز . لان نيروز ادخل في كلامهم واشبه به لانه
كقيصوم وعيثوم . وبهذا نلمس غف ما يذهب اليه بعض المعاصرين
المتشددين من وجوب الحاق العربات باوزان العرب .

تنبيه

اول من حاول استيعاب ابنية الاسماء والافعال في اللغة العربية
سيديويه فاحصى الاسماء ٣٠٨ من الامثلة ثم جاء ابن السراج فذكر منها
ما ذكره سيديويه وزاد عليه ٢٢ مثالا وزاد ابو عمرو الجري امثلة يسيرة
وكذلك فل ابن خالويه ، فتقرى ابو القاسم السمدوي اللغوي
المعروف بابن القطاع ابنية الاسماء العربية وبذل جهده في الاستقصاء

فاستوى لديه ١٢١٠ من الامثال في هذا الباب فلا يجوز لاحد ان
يقضي بخروج بناء ما عن ابنية اللغة العربية ما لم يستقصى هذه الامثلة
ويقتلها معرفة وضبطا .

نصريف المعرب

ينقسم المررب الى قسمين . الاول الاعلام والثاني اسماء الاجناس
فالاعلام الاعجمية المنقولة الى العربية لا يبحث في العربية عن اصول
اشتقاقها او جودها ، وانما تستعمل اعلاما في العربية كما كانت اعلاما في
الاعجمية ، ولا يدخلها من التصريف الا احكاما مخصوصة من جمع
وتصغير ونحوها ..

فلا يجوز بمد هذا ان يقال ان ابليس - مثلا - مأخوذ من
الابلاس . بمعنى البأس والانكسار ، واسحق من اسحقه الله اذا ابعده
لان الابلاس والاسحاق لفظان عربيان وابليس واسحق علمان اعجميان
ولا يعقل ان يشتق الاسم الاعجمي من لفظ عربي .

نعم يجوز ان يؤخذ من بعض الاعلام بعض التصاريف مثل اعرق
اذا صار الى العراق - على القول بان العراق اعجمي - ودواب اذا قصد
دولاب وهي مدينة اعجمية . ويقولون تبغدد اذا تشبه بالبعثاديين .
وبهذا يعلم انه يجوز اشتقاق بعض الصيغ من بعض الاعلام الاعجمية
المنقولة الى العربية ، ولا يجوز قطعا ان يزعم زاعم اشتقاق علم اعجمي من

لفظ عربي . ولا يفرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل
لأنه صادر عن ذهول في الغالب .

واما الضرب الثاني : وهو اسماء الاجناس العربية فلا ينبغي ان
يبحث في العربية عن اشتقاقه لان هذا الاشتقاق اما ان يكون من اصل
عجمي لا شأن للعربية فيه فيكون البحث عنه من قبيل الخلط الذي قد
يؤدي الى التخليط ، واما ان يكون الاشتقاق من لفظ عربي وهو محال
اذ لا يعقل ان يشتق العجمي من العربي كما لا يعقل بالعكس ، وانما
تشتق الالفاظ بعضها من بعض في اللغة الواحدة لأن الاشتقاق تنج
وتوليد ولا يعقل ان يتولد الشيء من غير نوعه . قال بعضهم في هذا
الشأن : ومن المحال ان تنتج النوق الاحورانا وتلد المرأة الانسانا
ومن اشتق الاعجمي المغرب من العربي كان كمن ادعى ان الطير من
الحوت . وما ورد في كتب اللغة مما يخالف هذا الاصل فهو تخليط لا
يعبأ به ولا يجوز ان يصار اليه .

هذا هو الرأي في اشتقاق الاسم الاعجمي المغرب من غيره . واما
الاشتقاق من اسم الجنس الاعجمي المغرب فمعروف في العربية شائع فيها
والعرب كثيراً ما تجري على هذا الضرب من المعربات الاحكام الجارية
على العربي الصميم . الا تراهم تصرفوا في اللجام وهو مغرب تصرفهم
في لفظ عربي اصيل . فقالوا الجهم ياجم الجاما ورجل ملجم وفرس ملجم .

وقالوا تلجم يتلجم تلجما . كما تصرفوا في الديوان وهو دخيل فقالوا :
دون يدون تدوينا ، والرجل مدون ، والعلم مدون وقالوا : بهرجه اذا
ابطله واصله من قولهم درهم بهرج اي ردى . وهو معرب « نهرة »
ويراد به الزغل والباطل .

والخاصة

انه لا يجوز بوجه من الوجوه ان يكون الاسم الاعجمي المعرب
مشتقا من لفظ عربي سواء كان الاسم الاعجمي علما في اللغة الاعجمية او
نكرة اما الاشتقاق من الاسم الاعجمي المعرب فيكثر في النكـرات
ويندر في الاعلام . فلذا سمي بمض العرب ابنه « قابوس » تمرب
« كاوس » او ابنته شيرن فلا يبحث عن كون هذين الملمين مشتقين
او انها اصل يشق منهما ، وعربوا « زيوه » فقالوا « زئبق » ولم يسألوا
هل هو مشتق ومن اين هو مشتق ، ولكنهم تصرفوا به واشتقوا منه
فقالوا زأبق الدرهم ودرهم مزئبق اذا كان مطليا بالزئبق . وقالوا فيه
الزوق والزأوق وقالوا تزوق تزويقا اذا تزين ونحسن ، ووجه مزوق
وثوب مزوق ، بمعنى مزين ، وتحرفه العامة فتقول : مزروق .

وعلى هذا الاصل مشى اسلافنا في تصريف كثير من اسماء
الاجناس المعربة فقالوا : فاسف وتفلسف ورجل متفلسف . وقالوا
قرطس من القرطاس وهو اعجمي معرب . ومعنى قرطس اصحاب

القرطاس وهو الهدف لأنه يكون من القرطاس في الغالب . وإذا علمنا ان «الكهربا» معرب «كاه ربا» بالفارسية ومعناه فيها جاذب التبن ويريدون به المادة التي يعمل منها هذا الخرز الاصفر المعروف اليوم باسم «الكهرب» اذا علمنا هذا واطلقنا اليوم هذه اللفظة على القوة المخصوصة جاز ان نتصرف بها فنقول تكهرب الجسم ، وجسم مكهرب وقد كهربنا الصندوق ، وصندوق مكهرب . وكذلك اذا قلنا تمرب كلمة التلفون مثلاً قلنا على اسلوب الاسلاف ان نقول : تلفن فلان يتلفن .

وفي هذا ما فيه من تذليل العقاب المائلة امام المترجمين والمؤلفين في العلوم الكونية المختلفة التي فاض فيض المصطلحات فيها وطى تيارها.

كيفية التعريب

قلنا : ان التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية بتغيير او بدونه . ولكن الغالب فيه التغيير قليلا كان او كثيراً . وذلك اما ان يكون بالزيادة او النقص او الابدال ، وعلى كل : اما ان يكون لازماً او غير لازم . وهاك الامثلة على ذلك :

مثال التغيير اللازم بالزيادة : « المستجة » بمعنى الحزمة . معرب « دسته » بدلت فيها الهاء جيما وزيدت التاء في آخرها للدلالة على الوحدة . و « صك » معرب « جك » زادوا في آخره حرفاً من

جنسه وادغموه فيه لان الاصل في الاسم العربي الا يقل عن ثلاثة احرف .

ومثال التغير غير اللازم بالزيادة : « سكر » زيدت فيه الكاف بعد السين وادغمت في الكاف بعدها .

ومثال التغير اللازم بالنقص : « رست » معرب « راست » بمعنى « صحيح » حذفت الالف دفعا لالتقاء الساكنين . و « ازن » مثلث الهمزة حوض يقتسل فيه ، ويتخذ من نحاس ليجلس فيه المرضى للتعريق ، وقد يتخذ من الخشب ، وقال ابو دؤاد الايادي يصف فرسا منتفخ الجنين :

اجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جاف ازننا بخار
اي مثلما وسم البخار جوف الازن وهو معرب « آب زن »
حذفت الالف دفعا لالتقاء الساكنين .

ومثال النقص غير اللازم : « سرداب » للبناء المعروف فانه معرب « سرد آب » بمعنى « الماء البارد » ، وسمى به البناء المعروف لانه كان بعد تبريد الماء . وقد حذفت الالف عند التعريب من غير لزوم .

والنقص قد يكون في اول الكلمة مثل « بهرج » بمعنى الباطل والزغل ، وهو معرب « نهره » حذفت منه النون . وقد يكون في الوسط كما تقدم في سرداب ، وقد يكون في الآخر مثل كلمة « النشا »

فإنها معربة من كلمة « نشاحنة » والنقص قد يكون بحرف واحد وقد يكون بأكثر كما رأيت في الأمثلة الآتية . والاببدال على قسمين : الأول ابدال حرف بآخر ، والثاني ابدال حركة او سكون بغيرهما .

واببدال الحرف بغيره قد يكون لازما وقد يكون غير لازم . فمثال الابدال اللازم « بد » بمعنى الضم فإنه معرب « بت » ابدلت الباء الفارسية المثلثة بالباء العربية ابدالاً لازماً لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه . وابدلت التاء بالذال ابدالاً غير لازم لقرب ما بين مخرجيهما .

وبالجملة فأنهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً في الغالب ، وربما ابعدها في الابدال لاسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون غامضة .

ومثال الابدال غير اللازم « برناج » فإنه معرب « برنام » ابدلت فيه الهاء جيماً .

ومثال ابدال حركة بحركة اخرى « سكر » معرب شكر كما مر ابدلت فتحه بالضمة . ومثال ابدال حركة باخرى ، وسكون بحركة ، وحركة بسكون ، كلمة سيوييه ، فإن المعجم تنطقه سيوييه فأبدلت العرب ضمة الياء بفتحة وسكون الواو بحركة وهي الفتحة ايضاً وابدلوا فتحه الياء الثانية بالسكون .

وربما دخل في الكلمة الواحدة انواع شتى من التغير مثل كلمة :

« زهه » فانها معربة من كلمة « دورره » بمعنى الطريق البعيد فابدلت الدال بالناء وحذفت الواو وجوبا لالتقاء الساكنين وادغمت الواو في الراء وحركت الهاء الساكنة بالفتحة وزيدت بعدها تاء للدلالة على الوحدة . فانت ترى انه قد دخلها النقص والزيادة والاببدال بانواعه ، ويقارب هذه كلمة « زئبق » تعريب « زيوه » فان الابدال لحق جميع حروفها . والتغيير هو الغالب في التعريب . واغلب ما يقع في الكلمات التي تبعد اوزانها عن الاوزان العربية ، او تشتمل على حروف لا وجود لها بين الحروف العربية مثل « د ، پ ، چ ، ژ ، گ ، ف » فان الضرورة تقضي بابدال الحرف الاول بالهاء او الباء لان المعجم تلفظه بين هذين الحرفين ، ولذلك قال العرب « فرند » و « برند » في تعريب كلمة « برند » الفارسية ، وفرند السيف وبرنده جوهرة ووشيه . وكذلك تقضي الضرورة بابدال الحرف « چ » بحرف يقاربه من الحروف العربية ، وقد اعتادوا ان يبدلوه بالصاد ويقولون « صك » في تعريب « چك » وصين في تعريب « چين » و « صفانه » في تعريب « چنانه » . وهي من الآت اللهو . وربما ابدلوه بالشين فقالوا « شاكري » في تعريب « چاكري » وهو الاجير المستخدم . وربما ابدلوه بالجيم فقالوا « جوالق » في تعريب « چواله » وهو المدل لان المعجم تلفظه بين الشين والجيم . والضرورة تقضي ايضا بابدال الحرف « ژ » بحرف من

الحروف العربية يقاربه في الخرج . ولما كان المعجم يلفظونه بين الزاي والجم ابدلته العرب بالزاي فقالت « زئبق » في تعريب « زيوة » و « زون » في تعريب « زون » وهو الصم .

وكذلك ابدلوا الحرف « ك » بالجم لانه يلفظ بين الجيم والكاف ، فقالوا « جزاف » في « كزاف » و « جلنار » في « كئلنار » وهو زهر الرمان ، و « جناح » في « كناه » وهو الذنب و « جوز » في « كوز » للثمر المعروف . وابدلوا الحرف الخامس من الحروف الخمسة المذكورة بالقاء او الواو لانه ينطق بينهما .

تموين علم اللغة

لا نريد في موضوعنا هذا ان نتعرض للبحث عن نشأة اللغة العربية وكيف تولدت مفرداتها وتوسعت ، وما هي عوامل توليدها وتنويعها وتوسيعها ، وكيف تميزت اسمائها وافعالها وحروفها بمضما عن بعض ، وكيف تفرعت هذه الانواع الى فروعها المختلفة حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم - لان هذه المباحث وما اشبهها انما هي من موضوع « الفلسفة اللغوية » .

وكذلك لا نتعرض في هذا الموضوع للنظر فيما اعتور مفردات اللغة وتراكيبها من التقلبات ، وما طرأ عليها من التغيرات في مختلف الازمان وتماقب الاجيال ، مثل هجر بعض الكلمات ، وإماتة بعض ،

وايجاد كلمات اخرى، وكاهمال بعض التراكيب ثم نسيانها واحداث غيرها من التراكيب الجديدة والاسباب الداعية الى هجر ما هجر ، واهمال ما اهل ، ونسيان ما انسى وامانة ما اميت ، وتجديد ما جدد ، الى غير هذه من المباحث التي ترجع الى « لم تاريخ اللغة » لا الى « تاريخ علم اللغة » .

ولا بد لنا قبل الخوض في المقصود ان نمهد له بمض التمهيد فنقول : كان علماء العربية في بادىء الامر يعتمدون في الجمع والنقل على الحفظ والرواية فحسب ، ثم ما لبثوا ان انصرفوا الى تدوين منقولاتهم ومروياتهم وتبويبها وتفصيلها وتهذيبها ، ولما كنهم كانوا مع ذلك لا يعتمدون على الاخذ من هذه المدونات بقدر ما يعتمدون على الحفظ والاخذ بالمشافهة والمدايسة فالمبرة عندهم للحفاظة واللسان لا للدتر والقلم ، وقد غبروا على هذه الطريقة المزدوجة حينما من الدهر . ثم اخذ امر الرواية يضمف شيئا فشيئا الى ان صاروا يقتصرون على الاخذ من السكتب كما هي الحال لهذا العهد ومن هنا تبين ان علم اللغة تقاب في ثلاثة اطوار :

١ - طور الرواية وحدها .

٢ - طور الرواية والكتاب .

٣ - طور الكتاب وحده .

ونحن نترد لسكل طور من هذه الاطوار بحثا برأسه .

١ - طور الرواية الخالصة

قلنا ان اول طلائع الاختلال في اللغة العربية انما ظهرت في اعرابها، ونقول الآن : ان عاهة الالحن في كلام الموالي والمتعربين ومن خالط الاعاجم من العرب او جاورهم نشبت منذ عصر البعثة النبوية حينما اعتنق الاسلام اناس يرتضخون الكناشتي من بين رومية وفارسية وحبشية وغيرها. وقد رووا ان رجلا لحن بحضرة النبي (ص) فقال النبي (ص): «ارشدوا اخاكم فقد ضل» وكتب كاتب لابي موسى الاشعري الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فاحن فكتب اليه عمر (رض): «ان اضرب كاتبك سوطا واحداً» ثم فشا الالحن في اخريات عهد الراشدين على اثر اتساع رقعة الفتوح، وانتشار العرب في الارض، وتبسطهم في العمران، ولم يزل امره آخذاً بالاتساع ولا سيما في الحواضر الكبرى التي تحوى الفافا من الموالي المتعربين، وبعض الاعارب الذين استخذت سلاقتهم، ولم تتوقع ملكة الفصاحة فيهم لاسباب اجتماعية او جغرافية او غيرها، وعند ذاك خشي عقلاء الامة واهل العلم منهم ان يتماهى امر الاختلال والاضطراب في الالسنه فينتهى الامر بفساد اللغة العربية فساداً لاصلاح وراهه فينفلق امر القرآن والسنة النبوية على الفهوم، وينهار صرح اللغة وآدابها ولا سيما بعد ان اصبحت لغة دينهم الذي اخرجوا به من الظلمات الى النور،

ولهذا شرعوا يستقروا الكلام ويستنبطون من مجاريه قوازين
ومضوابط واصولا ينقاس عليها اشباهها ونظائرها واصطلحوا على تسميتها
« بعلم النحو » .

ولا جرم انهم عندما عمدوا الى استنباط قوازين هذا العلم انجزت
بهم الحال الى استقراء الشيء الكثير من منظوم العربية ومنثورها ، وقد
امتطوا من ذلك غارب بحر عجاج ، لان العربي بطبيعته من اثبت الناس
حفظا ، واقوام حافظا ، ولا سيما اذا عاش في بيئة تغمرها الامية والجاهلية
الضرورة الى استخدام لسانه وحده في افانين المحاورات والمناظرات
والمساجلات وسائر ضروب التعبير عما في مطاوي الضمير ولهذا كان
العربي يومئذ - كما يقول بعض الفضلاء المعاصرين - كتابا او جزءا آمن
كتاب ، وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في احصاء الاخبار
والآثار . فالعربي بطبيعته وطبيعة بيئته ضابط لماثره وماثر قومه راو
لما هو في سبيله من امره وامر عشيرته .

ومن هذا تعلم صحة ما قلناه من ان علماء العرب عندما انصرفوا
الى استخراج قواعد النحو وجدوا انفسهم امام بحر من منظوم القول
ومنشوره .

وواضح ان النحو لا يصل الى استنباط قواعد النحو
واستخراج مسائله الا بعد البحث عن معنى ما يستعين به من منشور

القول ومنظومه لان القواعد النحوية تابعة للموضوعات اللغوية فمعرفة معاني الكلام سابقة لاستخراج قوانين تركيبه ، وضبط قواعده فللمعاني اللغوية اساس للقواعد النحوية ، ومن لم يكن متبحراً في معرفة موضوعات اللغة لا يتمكن من استخراج قواعدها وضبط اصولها ، فالنحوي يجب ان يكون لغوياً دون العكس لانا نعرف لغويين كثيرين لا يعرفون الا النحر اليه من النحو . ونحن لا نفي في هذا المقام بالنحوي من يأخذ النحو عن المشايخ ومن الكتب بعد ان تم امره ، ونضجت قواعده ، بل نعني به امثال ابى الاسود الدؤلي والخليل والكسائي واضرابهم من الائمة الذين وضعوا اساس هذا العلم واستنبطوا اصوله ، وفرعوا فروعه ، ورتبوا مسائله وبوبوها وفصلوها تفصيلاً ، وبعبارة اخرى نحن انما نعني بالنحاة هنا اولئك المجتهدين الذين تم على يدهم ابداع هذا العلم وانماؤه وتوسيعه وانضاجه لا المقلدين الذين لا شأن لهم الا معرفة ما وضعه اولئك الائمة ودرس ما قرروه ، وعلى هذا لا مرء في ان اول واجب على من يتصدى للامامة في النحو ان يتوسع في معرفه اللغة كل التوسع والا فانه يكون مغلوج الاجتهاد . وانما قدمنا هذه النبذة لنصل الى نتيجة واضحة وهي ان المجتهدين من النحاة هم انفسهم رواة اللغة الاولون ، ومنزلة النحوي في النحو تابعة لسعة اطلاعه في اللغة ، فليس من الغرابة بعد هذا ان تسموا في

هذا الباب ذكر كثير من مشاهير النحاة الاقدمين، ذلك لانهم لغويون قبل ان صاروا نحويين، فقد روى ان غلاماً كان يلعب بابي الاسود الدؤلى يتعلم منه فتكلم يوماً بكلمة لم يفهم ابو الاسود مراده منها فسأله عنها فقال الغلام : هذا حرف من العربية لم يبلغك . فقال ابو الاسود : لا خير لك في ما لم يبلغنى منها يا ابن اخي . فأبو الاسود وهو رأس النحاة كان من اوسع الناس معرفة في اللغة ، حتى انهم زعموا انه كان يجب في كلها .

فأبو الاسود يعد رأساً في اللغويين كما يعد رأساً في النحويين على ما سيأتي من تاريخ علم النحو . ولم يطلق عليه المتقدمون اسم اللغوى لان هذا اللقب لم يكن معروفاً اذ ذاك وانما شاع استعماله في اواخر القرن الثالث واولئ القرن الرابع عندما نضج كثير من فنون اللغة ، وتمايزت فروعها ، ولذلك كانت شهرة ابى الاسود فى النحو اوسع ، وصيته فيه ابعد ، اذ هو واضح اساسه ، ومقرر سماعه وقياسه على انه فى علماء العربية طبقة برأسها ، وتخرج به جماعة اشتهروا :

١ - ولده عطاء وكان من متقدمي تلاميذ ابيه .

٢ - يحيى بن يعمر على وزن يذهب ، المدواني ، كان من

الادباء المعروفين ، والرواة الاثبات المبرزين ، وهو مع ذلك فقيه ورع تولى القضاء فى خراسان على عدان قتيبة بن مسلم القائد المشهور ، وتوفى

٣ - نصر بن عاصم اللبثي ، تلقى القرآن والعربية عن ابي الاسود وكان من نهاء اصحابه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية المعروفة اذ ذلك بالتعليقة حتى قال بعضهم : ان اول اسناد علمي عرف في الادب هو اسناد نصر هذا الى ابي الاسود في تعليقه هذه . وقد الف نصر كتابا في العربية لم يصل اليها ، وقال بعضهم ان نصراً اخذ العربية عن يحيى بن يعمر واليهما يرجع الفضل في اعجام الحروف الهجائية وترتيبها على النط المعروف اليوم (ا ، ب ، ت ، ث .. الخ) وكانت من قبل هائلة ومرتبطة على النط الابجدي كما سنبينه في تاريخ الخط ، وقد توفي نصر سنة ٥٨٩ هـ .

٤ - عنبسة بن معدان الملقب بالقليل ، قالوا لم يكن فيمن اخذ عن ابي الاسود اربع منه ، حتى ان بعض تلاميذ ابي الاسود اخذ العربية عن عنبسة هذا لانه رأس اصحاب ابي الاسود من بعده ، وكان راوية للاشعار ظريفاً فصيحاً .

٥ - ميمون الاقرن ، اخذ العربية عن ابي الاسود ثم من بعده عن عنبسة القليل ، ورأس علماء العربية بعد عنبسة .

هؤلاء ائمه تلاميذ ابي الاسود الدؤلي ذكرآ ، واولاهم شأنآ ، واذا اعتبرنا ابا الاسود طبقة برأسها فان خريجه هؤلاء يعتبرون الطبقة الثانية .

واشهر من تلقى العربية عن هذه الطبقة :

١ — عبدالله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري ، قالوا ليس في اصحاب ميمون احد مثل عبدالله هذا ، وكان شديد التجريد للقياس وشرح المال ، وقد املى كتاباً في الهمز ، وتوفي سنة ١٢٧ هـ عن ثمان وثمانين سنة .

٢ — ابو عمرو بن الملاء بن عمار الازني ، امام البصريين في القراءات والعربية ، فهو احد القراء السبعة المشهورين ، واعلم اهل زمانه في العربية والشعر ومذاهب العرب حتى نقل ابو الطيب اللغوي ان بعضهم كان يقول لم يؤخذ على ابي عمرو بن الملاء خطأ في شيء من اللغة الا في حرف واحد ، وقد كتب الشيء الكثير من منشور اللغة ومنظومها حتى قيل ان دفاره كانت تملأ بيتاً الى السقف ، ولكنه تدسك في اخريات ايامه فاحرقها ، وتوفي سنة ١٥٤ هـ او ١٥٩ هـ .

٣ — ابو سفيان بن الملاء ، اخو عمرو بن الملاء اخذ عن اخذ اخوه من رجال الطبقة الثانية ، وقد اخناه شهرة اخيه ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ

واشهر من تلقى اللغة وآدابها عن هذه الطبقة :

١ — عيسى بن عمر النخعي ، رأس المتعربين من اللغويين ، اخذ العربية عن ابي عمرو بن الملاء ، وعبدالله بن زيد الحضرمي ، وروى عن

رؤبة بن العجاج ، وجماعة آخريين ، ولكثرة تعمقه في اللغة كان يغلّب عليه
 الاغراب في الكلام ، قيل انه سقط ذات مرة عن حمّاره ، فاجتمع اليه الناس ،
 فنظر اليهم مغضبا وقال : « ما لكم تكأ كأثم عليّ كتكأ ككثم على ذي جنة
 افرنقوا عني ، اي ما لكم تجمعتم حولي كتجمعكم على مجنون تنحوا عني ،
 فقالوا : ان شيطانه يتكلم بالهندية ، وله امثال هذا شيء كثير ، وله في
 العربية كتابان احدهما سماه الاكمال والثاني الجامع والظاهر انهما لم يعيذا
 طويلا على كثرة ثناء تلاميذه عليهما ، قال الخليل :

ذهب النخو الذي الفتم	غير ما الف عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع	فهما للناس شمس وقر

وتوفي عيسى بن عمر سنة ١٤٩ هـ وقيل ١٥٠ هـ

٢ - يونس بن حبيب الضبي البصري ، اخذ العربية عن ابي عمرو
 ابن العلاء ، وعن كثير من العرب والأعراب ، وكان له حلقة بالبصرة
 ينتابها اهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب ، وكان ممن ينتاب
 هذه الحلقة رؤبة بن العجاج ، وكان يونس يكثر من سؤاله عن غريب
 اللغة وهو يجيبه الى ان قال له ذات مرة : « حتام تسألني عن هذه الابطال
 وازخر فها لك اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟ » يريد انه كان
 يكذب عليه في جواباته ، وكان يونس واسع الحفظ ، قال ابو عبيدة
 « اختلفت الى يونس اربعين سنة املا كل يوم الواحي من حفظه »
 وتوفي سنة ١٨٢ هـ وكانت ولادته سنة ٩٠ هـ

٣ - ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الملقب بالاخفش الاكبر ، لقي الأعراب واخذ عنهم ، واخذ عن ابي عمرو بن العلاء واهل طبقة ، وبه نخرج جماعة من أئمة العربية المبرزين منهم سيديويه والكسائي وابو عبيدة ، وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وكان الناس قبله يكتبون القصيدة كلها فاذا فرغوا منها فسروها .

٤ - ابو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي ، عالم اهل الكوفة في زمانه ، وهو اول كوفي الف في العربية ، وكان اهل الكوفة يظنون من شأنه ويزعمون ان كثيراً من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه ، حتى قيل ان كل ما جاء في كتاب سيديويه : قال الكوفي « كذا » انما يعنى به الرؤاسي . وله مؤلفات في العربية منها : الفصيل وهو الكتاب الذي نقله الى البصرة في رحلته ، والوقف والابتدا الكبير والصغير ، ومعاني القرآن . ولم يصلنا شيء من كتبه .

٥ - ابو مسلم معان بن مسلم الهراء عم ابي جعفر الرؤاسي المتقدم ، وهو اول من وضع علم التصريف وله كتب في العربية لم يطل عمرها كثيراً ، وقد كان ولد في خلافة عبد الملك بن مروان وعمر طويلا حتى توفي سنة ١٨٧ وقيل سنة ١٩٠ هـ .

واشهر من تلتقى اللغة عن هذه الطبقة والتي قبلها :

١ - ابو زيد سميد بن اوس الانصاري الامام المشهور كان

احفظ الناس اللغة ، واوسسهم رواية واوثقهم واكثرهم اخذاً عن البادية حتى قالوا : كان يجيب في اللغة . اخذ عن ابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وابي الخطاب الاخفش وبونس بن حبيب وعن جماعة من ثقات الاعراب وعلمائهم . وكان جليل القدر ، رفيع المنزلة ، وتخرج به جماعة منهم سيديويه وكل ما جاء في كتاب سيديويه : « اخبرني الثقة » او « حدثني من اثق بعربيته » فاعلم ان يريد ابا زيد هذا ، ولا بني زيد تصانيف كثيرة سرد منها الجلال السيوطي في كتابه « بنية الوعاة » ثلاثين ونيفا ، توفي بالبصرة سنة ٢١٥ هـ عن عمر يناهز ٩٣ سنة .

٢ — ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي البصري ،
 واستترجم له فيما بعد ترجمة مبسوطة .

٣ — ابو عبيدة مغمر بن المثنى البصري الشعبي الاخباري ،
 كان اعلم اهل زمانه بالانساب وايام العرب واخبارهم وعلومهم حتى كان يقول ما التقى فرسان في جاهلية ولا اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسهما قال الجاحظ : « لم يكن خارجي اعلم بجميع المعلوم منه » ومن هذا يفهم انه كان يرى رأي الخوارج مضافا الى ما كان عليه من الشعوية السمجة ، وكان يفتاب عليه الغريب من اللغة ، ولهذا كان اول من الف في غريب الحديث ، وكان مع اتساع معرفته بلغة العرب وادبهم لا يحسن قراءة الشعر واذا انشد بيتا لم يقم اعرابه وينشده مختلف العروض ، وما ذلك

الا لانه يضرب يهرق الى اليهودية لان ابا المثنى جده كان يهوديا من
يهود بلجروان . ولأبي عبيدة مؤلفات كثيرة اشهرها : معاني القرآن ،
وغريب القرآن ، وغريب الحديث ، والمثالب ، وإيام العرب ، وطبقات
الفرسان ، وخلق الانسان ، والخليل والابل ، ونمائض جرير والفرزدق
وغيرها . وقد احصى له ابن النديم في فهرسته مائة مصنف ونيف . ولد
ابو عبيده سنة ١١٢ هـ وتوفي سنة ٢٠٩ هـ وقيل اكثر او اقل ...

٤ — خلف الاحمر البصري ، كان راوية للشمار ، ونقادة لها ،
وكان يعد من اضراب الاصمعي ، بل قيل هو معلم الاصمعي ، وهو والاصمعي
فتحا الممانى واوضحا المذاهب ، وبيننا العالم . وكان الاخفش يقول : لانه لم
يدرك احداً اعلم بالشعر من خلف والاصمعي ، وكان خلف شاعراً حاذقاً
ماهراً في التقليد ، وقد وضع على كثير من شعراء العرب ، فكان يضع
على كل شاعر ما يتلائم مع الفاظه واسلوبه ومعانيه ، فيشبهه كل شعر
يقوله بشعر الذي يضمه عليه ، وقد اخذ عنه اهل البصرة والكوفة ثم
نسك في اخريات ايامه ، واقرب بما كان يضمه فلم ينفع باقراره هذا من
انخدع له في اول الامر ، وبقي ما وضعه مبثوثاً في الدواوين ، وله من
التصانيف كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر ، وله ديوان شعر
حمله عنه ابنه تلاميذه ابو نواس وقد رثاه ابو نواس في حياته
بارجوزة منها :

اودى جماع العلم مذ اودى خلف من لا يعد العلم الا ما عرف
قليد من العياليم الخلف فكلما نشاء منه نغترف

رواية لا تجتنى من الصحف

وله فيه من قصيدة يرثيه بها في حياته ايضا
وكان ممن مضى لنا خلفا فليس منه اذ بان من خلف
وتوفى في حدود الثمانين والمائة .

٥ - الخليل بن احمد الفراهيدي : سيد اهل الادب وامام المصنفين
في لغة العرب ، وبه يبدأ الطور الثاني من اطوار الرواية المقرون بطور
التأليف ، وسوف ترجم له في غير هذا الموطن ، ولكننا نقول هنا : ان
الخليل اول من دون اللغة ، ورتب الفاظها على حروف الهجاء ترتيباً لم
يسبق اليه ، في كتابه المسمى « كتاب العين » وبكتابيه هذا يفتح الطور
الثاني وهو طور الرواية والكتاب .

طور الرواية والكتاب

نهج الخليل في جمع اللغة واستيعابها طريقة مبتكرة اخترعها لنفسه ،
واقفى اثره فيها الجهم الغنير ممن جاؤا بعده من اللغويين ، في ترتيب
الحروف منهمجاً خاصاً لم يمش عليه الناس من بعده ، وهو انه رتبها على
حسب ترتيب مخارجها الطبيعية مبتدئاً من الحلق ذاهباً الى اللسان
فالشفمتين ، وجعل اولها العين ثم ما قرب مخرجه منها ، الارتفاع فالانخفاض حتى

انى على آخر الحروف .

ان للمؤلفين في اللغة اسلوبين : احدهما يبتدي باللفظ وينتهي بالمعنى والثاني بالعكس ، مثال الاول ما اذا قيل : القطار : عدد من الابل مقطورة على نسق واحد ، والقطرُ : النحاس ، والقطر : الجهة والناحية ، والقطر : المطر . ومثال الثاني ما اذا قلت : ولد الناقة يسمى الحوار ، وولد النزالة يسمى الخشف . والنوم الخفيف يسمى السنة ، والذي يذهب من جانب اللفظ الى المعنى يرمي في الغالب الى تسهيل ايضاح معاني الكلام على السامع والقارئ ، فان من سمع كلاماً منظوماً او منشوراً ، وغم عليه معاني بعض الفاظه فانه يرجع في ايضاح ذلك الى المعاجم المؤلفة على الطريقة الاولى ، فيجد فيها ضالته ، والذي يذهب من جانب المعنى الى اللفظ يرمي على الأكثر الى تسهيل انشاء الكلام على اللسان والقلم ، فان من تصور معنى اراد التعبير عنه وغاب عنه اللفظ الدال عليه يستعين على وجدانه بالكتب او اامة على الطريقة الثانية ، ومن ثم نجد اكثر الناس انشاء بهذه الكتب اولئك الذين يعنون بترجمة الكلام الاجنبى لانهم يجدون امامهم من المعاني ما تحتاج الى قوالب من الفاظ لا تحضرهم فيرجعون الى هذه الكتب ليهتدوا بها الى بغيثهم ..

وانما المعنا الى هذا التقسيم لنبين ان مضمنى اللغة في هذا الطور انخزلوا الى فريقين : فريق سلك الطريق الاول وعلى رأسهم الخليل بن

أحمد وفريق سلك الطريق الثاني وعلى رأسهم الأصمعي وأبو زيد
 وأضرابهما . فالخليل بن أحمد أول من ألف في اللغة على الأسلوب الأول ،
 فهو أبو عذرة . نعم ، لا ينكر أن بعض معاصري الخليل ألف بعض الشيء
 على هذا الأسلوب كأبي عبيدة فإنه ألف في غريب القرآن وغريب
 الحديث ، ولكن تلك التأليف في مواضع خاصة وأبواب معينة ، وعلى
 غير ترتيب يعتمد به ، فهي عبارة عن مجموع مباحث مبعثرة لا يضبطها
 ترتيب ولا يؤلف بينها نظام ، أما الخليل فإنه نزع إلى طريقة علمية
 لم يسبق إليها على ما ستقف عليه مفصلاً عند الكلام على ترجمته .

فطور الرواية والمكتاب يفتح بذينك الأسلوبين من التأليف
 على ما عرفت . وقد رأينا أن ذم الأسلوب الأول « المسالك اللفظي » :
 لأن البدء فيه يكون بجانب اللفظ ومنه ينتقل إلى جانب المعنى .
 والأسلوب الثاني « المسالك المعنوي » : لأن البدء فيه يكون بجانب
 المعنى ومنه ينتقل إلى جهة اللفظ .

وينفرع عن كل واحد من هذين المسلكين فروع كثيرة
 رأينا أن نجملها في هذا المكان لئلا نضطر إلى الرجوع إليها في مكان
 آخر فنفك عرا البحث وتباعد أراصره .

فروع المسالك اللفظي

✓ ٧ سلك المؤلفون في ترتيب الالفاظ مسالك شتى لاعتبارات

مختلفة ، فمنهم من وجهه الى ضبط اللغة واحصاء كلماتها والتمييز بين مستعملها ومهماتها كما فعل الخليل بن احمد في ترتيب كتاب العين وتبعه ابو بكر بن دريد في جهرته ، وقد علمت ان الخليل ابتكر اسلوبا في احصاء مفردات اللغة لم يسبقه اليه سابق كما ابتكر طريقة خاصة في ترتيب حروف الهجاء تنكب فيها الطريق الابجدي القديم ، والترتيب العلمي المعروف ، ومال الى الترتيب المخرجي الطبيعي على ما اشرنا اليه آنفا واما ابن دريد فانه لم يزد على ما جاء به الخليل من الترتيب والتبويب شيئا يذكر ، ولذلك جاءت جهرته مقارنة لكتاب العين على ما فيها من الفوائد والأوايد التي خلا منها كتاب العين .

وقد حذا حذو هذين الامامين ثالث هو ابو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبان القرطبي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ فانه وضع كتابا اتى فيه على ما في كتاب العين من صحيح اللغة ، وزاد عليه ما زاده ابن دريد في الجهرة ، فصار كتابه هذا محتويا على الكتابين معا ، وسماه « فتح العين » وبعد فمحن نلقب هذا الترتيب « بترتيب الخليل » ويعتبر الفرع الاول من المسلك اللفظي . وآخر من سلك هذا المسلك - على ما نظن - ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده والمتوفى سنة ٤٨٠ هـ فانه ألف كتابه (المحكم والمحيط الاعظم) على ترتيب كتاب العين .

ومن اللغويين من وجه نظره الى ضبط مفردات اللغة مع الالتفات

الى تسهيل امر الحصول على المقصود في المراجعة عند الحاجة ، فرتب الالفاظ معتبراً او اخر حروفها الاصلية ابواباً ، واوائل حروفها الاصلية فصولاً ، كما فعل الجوهري في كتابه (صحيح اللغة) ، وتبعه مجد الدين الشيرازي في قاموسه وتبعهما خالق كثير .

ومن طبيعة هذا الترتيب ان يتألف الكتاب من ثمانية وعشرين باباً ، يعتمد كل باب منها من ثمانية وعشرين فصلاً على عدد حروف المعجم حسب ترتيبها التعليمي المشهور (ا ، ب ، ت ، ث ، الخ) الا ان يهمل في بعض الابواب بعض الفصول لعدم ورود شيء فيه ، فاذا طلبت كلمة استقرى ، او تقرى ، او الثيرون مثلاً - فانك تجدها كلها في فصل القاف من باب الواو ، لان اصل مادتها (ق ، و ، ر) واذا طلبت السماء او الاسم او الة - امي فانك تجدها كلها في فصل السين من باب الواو لانها كلها من مادة (س ، م ، و) ونحن نلقب هذا « بمسلك الجوهري » وهو الفرع الثاني من المسلك اللفظي . ومن المؤلفين من لم يلتفت الى حصر المفردات بوجه ، بل وجه كل عنايته الى تسهيل الحصول على المقصود عند البحث والمراجعة فبوب كتابه على ترتيب حروف الهجاء التعليمي واعتبر اصول اوائل الكلام ابواباً ، وما يليها من الحروف الاصلية ثم ما يتلها فصولاً ، فتجد كلمة اسد قبل كلمة اسر ، وهذه قبل كلمة اسف ، وهذه كلها قبل كلمة اشر لان الشين بعد السين . واول من سلك هذا المسلك في الترتيب - على ما اظن - ابو الحسين احمد بن فارس المتوفى

سنة ٣١٠ هـ في كتابه «المجمل في اللغة» وتبعه الزغشري في كتابه «اساس البلاغة» وجاء بعده تلميذه ناصر بن عبد السيد المطرزي المتوفي سنة ٦١٠ هـ فالف كتابه «المغرب في لغة الفقهاء» وسلك في ترتيبه مسلك شيخه في اساس البلاغة. وممن سلك هذا المسلك احمد بن محمد المقرئ القيومي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ في كتابه «المصباح المنير» في غريب الشرح الكبير، وعلى هذا المسلك سار المؤلفون من المعاصرين. والمؤلفون على هذا النمط يعتبرون من السكامة حروفها الاصلية كما علمت فيضمون كلمة اتصل مثلا في باب الواو لانها من مادة «وصل» ومثلها إنأد، واتسع، واتكأ، واتسق، واتهم، واتكل، لانها من مادة «واد»، «وسع»، «ولكأ»، «وسق»، «وهم»، «ولكل» ويضمون كلمة تترى في هذا الباب لان مادتها «وتر» وفي هذا ما فيه من السر على الذين لا علم لهم بمبادئ اللغة واصول تصريفها، ولهذا نرى ان توضع المعاجم على اسلوب تكون العبرة فيه لحروف السكامة كلها، سواء في ذلك الاصلية والزائدة، وتوضع كلمة تترى مثلا في باب التاء والتاء وما يثلاثها، وكلمة اتقى في باب الهمزة والتاء وما يثلاثها وهكذا.

وقد سلك هذا المسلك من الاقدمين ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» فانه رتبته على هذا النمط غير ناظر الى اصول الكلمات فيضم كلمة «اسوره» - مثلا - في باب الهمزة والسين وما يليهما، واذا طلبتها في المصباح تجدوها في باب السين مع الواو وما يثلاثها، وفي هذا

عنت ليس بالهين . وعلى النمط السهل مشي مؤلفو معاجم الاسماء ، كان
 خا-كان في كتابه « وفيات الاعيان » ، وياقوت في كتابه « معجم الادباء »
 وابن حجر المسقلاني في « الاصابة » ، فانك تجد فيها اسم « الملى » مثلا
 في باب الميم والعين وما يليها ، ولو طلبته في القاموس لوجدته في فصل
 العين من باب الواو ، او في المصباح لوجدته في باب العين واللام
 وما يثلثها .

ولم نجد من اللغويين من سلك هذا المسلك على ما فيه من تسهيل
 المراجعة على المراجعين ولا سيما اولئك الذين يتعسر عليهم تمييز اصول
 الكلمات من زوائدها .

فروع المسلك المعنوي

للمؤلفين الذين سلكوا هذا الطريق في تأليفهم مناهج شتى
 مرجعها كلها الى امل واحد هو ترتيب المعاني حسب اجناسها وانواعها ،
 ثم توزيع كل نوع منها الى طوائف توضع كل طائفة منها تحت باب
 له عنوانه ، وتقسم هذه الابواب الى فصول يوضع تحت كل فصل منها
 جملة من المعاني المتآخية . فاذا اخذ جنس الحيوان مثلا نجد ان ينقسم الى
 انواع كثيرة منها الانسان ، والبحث عن الانسان يتوزع الى ابواب
 كثيرة يضم كل باب منها طائفة من شؤونه ، فمن اعضائه الى طعامه الى
 شرابه ، الى لباسه ، الى مسكنه ، الى سلاحه ، الى حركاته ، واطوار حياته .

وسائر صفاته وتقلبات احواله . واذا اخذنا باب اللباس مثلاً نجد
 ينطوي على فصول عديدة في النسيج والخياطة والخميط والابر ، وفي
 ضروب الثياب والوانها واشكالها ، وفي ثياب الرجال والنساء والولدان ، وفي
 الاكسية والفرش .. الخ . فاذا اخذت فصل الوسائد مثلاً تجد يقول :
 المخدة والمصدغة : ما يوضع تحت الرأس ، والخرقه : هي التي تصف الى
 اخرى ، والسند : ما يستند اليها ، والمشورة : ما يتكأ عليها . والمنبذة :
 ما يطرح للزائر وغيره . والحسبانة : ما صغر من الوسائد .. الخ .

ثم من المؤلفين من يذكر المعنى المفرد ويذكر اللفظ الدال عليه .
 كأن يقول : ما بين طرفي الخنصر والابهام يسمى الشبر . وما بين
 طرفي السبابة والوسطى يسمى الرتب . وما بين طرفي الوسطى والبنصر
 يسمى العتب . وما بين طرفي البنصر والخنصر يسمى البصم . وما بين
 كل اصبعين طولاً فهو الفوت .

ومنهم من يذكر المعنى المركب ويردده بالعبارة او العبارات الدالة
 عليه ، فاذا ذكر باب الخطيب والخطابة مثلاً يقول : خطيب بسيط
 اللسان ، مصقول الخاطر ، ناصع البيان ، خلاب الالباب ، تنفجر ينابيع
 الحكمة على لسانه ، اذا افاض في كلامه ملك اعنة القلوب ، واستدر ماء
 الشؤن ، وقوم زبغ النفوس ... الخ .

واشهر من نهج المنهج الاول ابو منصور اشعالي المتوفي سنة
 ٤٢٩ هـ في كتابه الموسوم بـ (بفتح اللفظ) . وابن سيده صاحب المحكم في

كتاب « المختص » في ١٧ جزءاً . ويقال انه قد سبقتها الى هذا المنهج
 احمد بن ابان الاندلسي المتوفي سنة ٣٣٢ هـ في كتابه « العالم » بدأ فيه
 بالفلك وختم بالذرة فجاء في مائة مجلد .

ومن الف على النمط الثاني عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفي
 سنة ٣٢٧ هـ ؛ الف « الالفاظ الكتبية » وقدامة بن جعفر المتوفي سنة
 ٣٣٧ هـ فقد وضع فيه كتابه الذي اسماه « جواهر الالفاظ » وهو
 كتاب ممتع .

المعاجم العامة والخاصة

ومن المعاجم ما هو عام في جميع ابواب اللغة وانواعها كالقاموس
 لمجد الدين الشيرازي والمختص لابن سيده . ومنها ما هو خاص في
 باب من ابواب اللغة ونوع من انواعها . وهذا النوع كثير الفروع
 - على ما ستراه - ونحن نذكر بعض هذه الفروع في هذا المقام على
 سبيل المثال فمن ذلك :

- (١) مفردات القرآن . (٢) ما جاء في القرآن بغير لغة العرب .
- (٣) ما جاء في القرآن بغير لغة الحجاز . (٤) مبهمات القرآن . (٥) غريب
- الحديث . (٦) لغات الفقهاء . (٧) لغات بعض الكتب الفقهية .
- (٨) الاضداد . (٩) مثلثات اللغة . (١٠) لغات الشمر . (١١) النبات .
- (١٢) الشجر . (١٣) النخل والكرم . (١٤) خلق الانسان . (١٥) خلق

الفرس . (١٦) الانواء . (١٧) الرياح . (١٨) الابل . (١٩) الشاء .
 (٢٠) السلاح . (٢١) الفصيح . وغير ذلك مما يطول شرحه ويتعسر
 استقصاؤه ، وفي كل من هذه الانواع كتب كثيرة ، سيمر بك
 طرف منها ان شاء الله تعالى .

الطبقة السادسة

وبعد لإجمال ما استوردنا اليه من تنويع مسالك المؤلفين من
 اللغويين نرجع الى ما كنا بصددده من تتبع طبقات اللغويين واستقراء
 سلسلتهم حاققة حلقة فنقول : اشهر من تلقى العربية عن طبقة الخليل :

- ١ - ابو بشر عمرو بن عثمان المعروف بـ سيديويه ، المتوفى سنة ١٨٠ هـ
 وسنترجم له في النحويين لاشتهاره بكتابه الذي يلقب بـ « قرآن النحو »
- ٢ - النضر بن شميل - اخذ عن الخليل ، ثم رحل الى البادية
 وضرب في كبد الجزيرة واخذ عن اعرابها وعربها . فيقال انه اقام في
 البادية اربعين سنة . وكان علماً من اعلام العربية ، وله مؤلفات منها :
 كتاب الجيم ، غريب الحديث ، الشمس والقمر ، السلاح ، الانواء ،
 المدخل الى كتاب العين . وتوفى سنة ٢٠٣ هـ .

- ٣ - حماد بن سلمة الامام المشهور اخذ عن غيسى بن عمر وعن
 الخليل وغيرهما ، وكان رأساً في العربية والبلاغة توفى سنة ١٦٧ هـ .

- ٤ - يحيى بن المبارك اليزيدي ، اخذ عن عمرو والخليل . وكان

احد القراء الفصحاء العالمين بلغة العرب وادابها ، وهو احد اشياخ
المأمون . ومن تأليفه : كتاب النقط والشكل ، والمقصود والمدود ،
والنوادير ، وتوفي سنة ٢٠٢ هـ .

٥ - ابو فيد المؤرج بن عمرو السدوسي ، أحد أئمة الادب
التوسمين في لغة العرب . قدم من البادية واقام بالبصرة فخذق مقاييس
العربية على اشياخها كأبي عمرو بن العلاء ، وابي زيد الانصاري ،
والخليل بن احمد ، وله من المؤلفات في اللغة : غريب القرآن ، الانواء ،
المعاني ، وغيرها ، توفي سنة ١٩٥ هـ .

٦ - علي بن سلام الجمحي ، احد اعلام الادب اخذ عن خاف
الاحمر ويونس بن حبيب وغيرها ، وهو احد نقدة الشعر الافذاذ ،
والرواة الانيات ، وله كتاب غريب القرآن ، توفي سنة ٢٣١ هـ .

٧ - ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، رأس الكوفيين ،
وامام اللغويين وسنترجم له في النحويين .

٨ - علي بن نصر الجهمضي صاحب الخليل واخذ عنه ، وهو من
رفقاء سيديويه ، توفي سنة ١٨٧ هـ .

٩ - المفضل بن محمد الضبي الكوفي صاحب المفضليات ، كان من
علماء الشعر ورواة الادب الكثيرين .

١٠ - صالح بن اسحاق الجرمي ، اخذ عن الاخفش ويونس

والاصمعي وابي عبيدة . وله كتب منها : كتاب الابنية وغريب سيديويه
وغيرها . توفي سنة ٢٢٥ هـ .

١١ - عبدالله بن محمد النوذي ، اخذ عن الاصمعي وابي عبيدة ،
وبرع في فنون الادب ، وله كتاب : الخيل ، والأمثال ، والاصناد ،
توفي سنة ٢٣٣ هـ .

واشهر من تلقى العربية عن هذه الطبقة :

١ - محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، لازم سيديويه ويونس
ابن حبيب ، واخذ عن عيسى بن عمر ، وبرع في العربية . ولكن الرواة
يغزونه ويطعنون في روايته ، وله مؤلفات جمة منها : المثلث (وهو ما
جاء بالحركات الثلاث من الالفاظ سواء كان لمعنى واحد ، مثل : ذروه ،
رغوه . او لمعاني مختلفة مثل : قطر ، قطر ، قطر) . والنوادر ، والاصناد
وخلق الانسان ، وخلق الفرس ، والمصنف الغريب . وغيرها ، وتوفي
سنة ٢٠٦ هـ .

٢ - يحيى بن زياد الفراء تلميذ الكسائي واحد اعلام اللغويين
من الكوفيين ، وله مصنفات كثيرة منها : معاني القرآن ، المصادر في
القرآن ، آلة الكتاب . النوادر ، المقصور والممدود ، الحدود ، وتوفي
سنة ٢٠٧ هـ .

٣ - ابو عبيد القاسم بن سلام ، الاديب المتفنن ، كان اماماً في معارف
شتى ، اخذ عن ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، واليزيدي ، وابن

الاعرابي، والكسائي وغيرهم. وكان مصنفًا حسن التصنيف، ترك
 نيفًا وعشرين مصنفًا منها: الغريب المصنف، غريب القرآن، غريب
 الحديث، معاني القرآن، الامثال السائرة، المقصور والمدود، وغيرها.
 توفي سنة ٢٢٣ هـ.

٤ - محمد بن زياد الاعرابي، أحد أئمة الرواة الكوفيين، وعلام
 اللغويين المبرزين، حتى قالوا: لم يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية
 برواية البصريين منه، وكان واسع الحفظ جدًّا، قال ثعلب: لزمته بضع
 عشرة سنة ما رأيت ييده كتابًا قط، وما أشك في أنه املئ على الناس ما
 يحمل على اجمال، وله كتب كثيرة منها: النوادر، الانراء، صفة المحل،
 صفة الدرع، الخيل، معاني الشعر، النبات، النبت والبقول، الامثال
 وغيرها توفي سنة ٢٣٠ هـ.

٥ - أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط تخرج
 بسبويه، وكان احفظ اصحابه واحذقهم، وله من المؤلفات: معاني
 القرآن، والاشتقاق والمسائل الكبير والصغير، والاصوات. وكتب
 اخرى توفي سنة ٢١٠ هـ. وزعم البصريون ان الكسائي قرأ عليه
 كتاب سبويه سرًّا.

٦ - أبو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيايدي أحد الرواة المتوسمين،
 والادباء المطبوعين، اخذ عن سبويه، وروى عن أبي عبيدة والاصمعي

ومن تأليفه كتاب : النقط والشكل ، والامثال ، والسحاب ، والرياح ،
والامطار ، توفي سنة ٢٤٩ هـ .

٧ - ابو عثمان بكر بن محمد المازني ، احد فضلاء الناس وكبار
روائهم ، وحذاق مناظرهم ، روى عن جماعة منهم ابو عبيدة والاصمعي
وابوزيد والجري والخنس الاكبر ، واكثر مصنفاته في النحو
والنصريف توفي سنة ٢٤٩ هـ .

٨ - ابو الفضل العباس بن الفرج الرياشي ، احد علماء الناس
باللغة والشعر ، روى عن الاصمعي وغيره وقرأ النحو على المازني كما قرأ
عليه المازني اللغة ، ومن مؤلفاته : كتاب الخيل ، الابل ، ما اختلفت
اسماؤه من كلام العرب ، توفي سنة ٢٥٧ هـ .

٩ - ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري ، كان اماما في
علوم القرآن واللغة والشعر واخبار الناس ، روى عن ابي عبيدة
والاصمعي وابي زيد وغيرهم ، وله مؤلفات كثيرة منها : المقصور
والممدود ، الوحوش ، الطير ، خلق الانسان ، وغيرها ، وكانت كتبه في
غاية من الاتقان والامتناع . توفي سنة ٢٥٠ هـ .

١٠ - عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب ابن اخي الاصمعي ، كان
يروى عن عمه النبي السكيت ، وربما حكى عنه ما يجده في كتبه من غير
ان يكون قد سمعه من لفظه .

١١ - أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، صاحب الاصمعي ويزعم بعضهم أنه ابن اخته وليس هذا بثابت ، وروى عن أبي عبيدة ، وأكثر الرواية عن أبي زيد وله من المؤلفات : النبات والشجر ، واللأ واللبن ، الخيل ، الطير ، الجراد ، اشتقاق الاسماء ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٣١ هـ .

١٢ - أبو عمر اسحاق بن مرار الشيباني الكوفي راوية اهل بغداد في عصره ، كان واسع العلم باللغة عالماً فاضلاً . اخذ عن الكسائي وغيره ، واخذ عنه خلق كثير ، وله من المصنفات : النوادر ، كتاب الجيم ، الغريب المصنف ، غريب الحديث ، الخيل ، اشعار القبائل ، خلق الانسان ، وغيرها ، توفي سنة ٢٠٦ عن مائة وعشر سنين .

١٣ - علي بن الحسن الاحمر شيخ العربية في زمانه ، صاحب الكسائي واخذ عن غيره ، وكان بارعاً في النحو والحفظ حتى قيل انه يحفظ اربعين الف شاهد في النحو ، وله كتب جلها في التصريف والنحو توفي سنة ١٩٤ هـ .

١٤ - علي بن حازم اللحياني الكوفي ، لازم الكسائي وقرأ عليه كثير ممن في طبقة ، وله كتاب النوادر .

١٥ - أبو محمد عبدالله بن سعيد الاموي ، اخذ عن الكسائي ومن في طبقة ، اخذ عنه جماعة ، وله كتاب النوادر وغيره .
وأشهر من تلقى على هذه الطبقة :

١ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد امام اهل العربية في زمانه واديبهم ، اخذ عن المازني والسجستاني والجري ، وتخرج به خلق كثير ، وكان قوي الذاكرة فصيحاً مفوهاً واخبارياً ظريفاً ، حتى كان الناس بالبصرة يتولون : ما رأى المبرد مثل نفسه ، وله كثير من المؤلفات منها : معاني القرآن والاشتقاق والمقتضب ، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، ويعد في مقدمة تأليفه الكامل وهو احد اركان الأدب عند اهل الادب وتوفي سنة ٢٨٥ هـ .

٢ - أبو العباس احمد بن يحيى البغدادي المشهور بشعرب امام الكوفيين في النحو واللغة لازم ابن الاعرابي واخذ عن محمد بن سلام الجمحي وغيره ، وقد انتهت اليه رئاسة الكوفيين في العربية كما انتهت رئاسة البصريين الى المبرد ، وكانت بينهما منافرات مشهورة ، ومعارضات منسكورة ، حتى اصبحا مثلاً في شدة التماذي ، قال الشاعر :

فابداننا في بلدة والتماؤنا عسير كأننا ثملب والمبرد
والثملب تصانيف اكثرها في النحو والتصريف ، منها في اللغة : معاني القرآن ، معاني الشعر ، الفصيح وهو اشهرها ، وينسبه بعضهم لغيره ، والصحيح انه له ، توفي سنة ٢٩١ هـ .

٣ - ابر عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني ، اخذ عن المازني والجري ومن في طبقتهم واختص بالتوثيق ، وله كتب كثيرة منها كتاب الماني .

- ٤ - يعقوب بن اسحاق السكيت : احد اعلام الكوفيين اخذ العربية عن البصريين والكوفيين ، ومن اخذ عنهم ، الفراء وابو عمرو الشيباني ، وابن الاعرابي وغيرهم ، وكان واسع العلم باللغة والشعر وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وشروح دواوين العرب ، وزاد فيها على من تقدمه الشيء الكثير ، ويذكر في مقدمة تأليفه اصلاح المنطق ، وهو مطبوع متداول ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .
- ٥ - عمرو بن ابي عمرو الشيباني الكوفي احد كبار اللغويين من الكوفيين توفي سنة ٢٣١ هـ .

- ٦ - ابو جعفر محمد بن حبيب الكوفي احد علماء اللغة المعروفين ورواة الاخبار الموصوفين اخذ عن قطرب وابن الاعرابي له : غريب الحديث ، الانواء ، الشجر ، نوائض جرير والفرزدق . المختلف والمؤتلف في اسماء القبائل . الخيل ، النبات ، وغيرها توفي سنة ٢٤٥ هـ .
- ٧ - ابو الحسن علي بن المنيرة الاشرم الكوفي ، له مؤلفات في العربية اكثرها في النحو ، وله كتاب في غريب اللغة .

- ٨ - ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري كان بارعاً في فروع اللغة المختلفة ، راوية ثقة مكثر ، اخذ عن السجستاني والرياشي وغيرها ، واخذ عنه خاق كثير ، وانتشر عنه من كتب الادب ما لم ينتشر عن احد من نظرائه وله مصنفات كثيرة منها : النبات والوحوش . وجمع اشعار جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس ، والناطقة الذبياني ، وزهير .

وليبد ، والنايفة الجمعي ، وغيرهم كما جمع شعر عدة قبائل من العرب منها ، شعر هذيل ، وبنى شيبان ، وبنى ربوع ، وبنى ضبة ، والازد ، وبنى نهمشل وغيرهم ، وتوفي سنة ٢٧٥ هـ .

٩ — عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري نزيل بغداد ، احد اعلام اللغويين ، وكبار المصنفين ، ورجال الاخبار المتوسمين ، ومن مؤلفاته : غريب القرآن ، معاني القرآن ، الخيل ، خلق الانسان ، الانواء غريب الحديث وغيرها توفي سنة ٢٦٧ هـ .

ومن اشهر من تآق عن هذه الطبقة :

١ — ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج ، لازم المبرد واخذ عنه معظم علمه ، فخر ج فاضلا ، له مجلة مؤلفات منها : معاني القرآن ، خلق الانسان ، فعات وافعات ، الاشتقاق ، النوادر ، وله كثير غيرها . توفي سنة ٣١١ هـ .

٢ — ابو بكر بن السراج .

٣ — ابو بكر بن دريد وسنترجم له .

ومن اشهر تلاميذه ، وحاملي لواء علمه ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي المشهور بالقال ، كان احفظ اهل زمانه للغة وآدابها وله كتاب البارع في اللغة والنوادر والامالي وهي احد اركان الادب توفي سنة ٣٥٦ هـ .

ومنذ انفجر فجر هذه المائة — المائة الرابعة للهجرة — اخذ ظل

الرواية يتقاص وشأنها يتضاهل شيئاً فشيئاً ، واخذ امر الاعتماد على الكتاب يقوى ويتوسع ، واخذ العلم يحتل المسكاة التي كانت تحتها الحافظة ، وقد اخرج اقطاب اللغويين للناس في هذا العصر اسفاراً جلية تعد في الطليعة من دواوين اللغة التي عليها يعول ، واليها يرجع . ومن اشهرها :

١ - الجهرة لابى بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ المتقدم ذكره .

٢ - البارع لابى علي القالي المتقدم .

٣ - مختصر العين لابى بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة

٣٧٩ هـ .

٤ - كتاب المشتات لابى عمرو المعروف بعلام ثعلب المتوفى سنة

٣٤٥ هـ ، وقد جمع فيه الماماني التي تترادف على كل معنى منها عشرة الفاظ

٥ - ديوان الادب لابى اسحاق بن ابراهيم القارابى المتوفى

سنة ٣٥٠ هـ خال الجوهري صاحب الصحاح . وهو كتاب مؤلف من ستة

كتب (١) فى السالم (٢) فى المضاعف (٣) فى المثال (٤) ذوات الثلاثة

(٥) ذوات الاربعة (٦) الهمة .

٦ - التهذيب لابى منصور محمد بن احمد الازهرى المتوفى سنة

٣٧٠ هـ ، وهو من اجل المعاجم ، واغزرها مادة ، وقد تقدم انه مرتب

على نمط كتاب العين .

٧ - غريب الالفاظ التي استعمالها الفقهاء للازهرى ايضا .

٨ - المحيط للصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وهو في سبعة مجلدات فقد معظمها .

٩ - المجمل لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ وقد تقدم ذكره .

١٠ - الصحاح للجوهري المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وقد وصفناه في دروس اصول اللغة .

وبالجملة فانه ما كاد ينطوي بساط هذه المائة حتى ازدهت المكتبات بمئات المؤلفات في هذا العلم ، حتى حكى عن الصحاح بن عباد المذكور آنفاً ان بعض الملوك ارسل اليه يسأله القدوم عليه ، فقال له في الجواب : احتاج الى ستين مجلاً انقل عليها كتب اللغة عندي ، ومهما كان في هذا القول من المبالغة فانه يدل على غزارة مادة التأليف اذ ذاك في هذا العلم ، قال الجلال السيوطي بعد ان نقل هذه الحكاية : وقد ذهب جل هذه الكتب في الفتن الكائنة من التار وغيرهم .

ومن اشهر ما جادت به اقلام اقطاب اللغة في المائة الخامسة من جليل المعاجم :

١ - الجامع ، لابي عبد الله محمد بن جعفر النيمي المعروف بالقزاز المتوفى سنة ٤١٢ هـ .

٢ - المواعظ لابي غالب تمام بن غالب المعروف بالتيازي المتوفى سنة ٣٣٦ هـ .

٣ - المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وقد تقدم ذكره .

ومن اشهر ما الف في هذه المائة على المسلك اللغوي :

١ - فقه اللغة لابي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .

٢ - المخصص لابن سيده وهو اجل ما الف في بابهِ على الاطلاق .

وما كادت تدخل المائة السادسة حتى لم يبق الرواية شأن يذكر وصار اعتماد الناس على الكتب يتدارسونها ويمنون بضبطها وتحقيق ما فيها على الاشياخ ، وغبروا على ذلك زمناً الى ان فترت المهمم فاخذوا يقرؤن الشيء من المكتاب ويستجيزون رواية الباقي من غير قراءة . وغبروا على هذا زمناً فصاروا يكتبون برواية الكتاب او الكتب من غير ان يقرؤا شيئاً على الحجز ، وهكذا حتى لم يبق للضبط والتحقيق ، ومن ثم كثر التصحيف والتحريف في كتب المتأخرين مما لم يمد عشر معشاره في كتب الاقدمين .

ومن اشهر معاجم اللغة في المائة السادسة :

١ - تهذيب اصلاح المنطق لابي زكريا التبريزي المتوفى سنة ٥١٢ هـ

هذب فيه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ، وفسر الغامض منه واصلاح ما رآه فيه من الخطأ .

٢ - مفردات القرآن لابي القاسم الحسين المشهور بالراغب

الاصنفاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وهو اجل ما الف ، غاية في التحقيق وحسن الترتيب والتبويب .

٣ - السامي في الاسامي لابى الفضل احمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الامثال المتوفى سنة ٥١٨ هـ

٤ - شمس العلوم ودواء العرب من السكوم لنشوار بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وهو من احسن المعاجم شرحا للمعاني وايضا حاشيا للمعاصد والمباني .

٥ - اساس البلاغة لابى القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وهو احسن كتاب الف في بابيه ، ويشرح فيه الالفاظ بادخالها في جمل هي غاية في البلاغة ، ويفصل استعمال الالفاظ على وجه الحقيقة ثم على وجه المجاز ، ولو كان فيه شيء من التوسع لما فضله معجم من المعاجم التي سلك فيها مؤلفوها المسلك اللفظي .

٦ - الفائق في غريب الحديث الزمخشري المذكور .

٧ - كتاب الامكنة والجمال والمياه له ايضا .

ثم دخلت المائة السابعة ومن اشهر ما اخرج فيها المؤلفون من المعاجم :

١ - المغرب في ترتيب العرب لناصر الدين الطارزي المتوفى سنة ٦١٠ هـ وهو كتاب جمع فيه المؤلف ما يستعمله الفقهاء من الالفاظ التي تحتاج الى تفسير .

٢ - كفاية المتحفظ لابن اسحاق بن الاجداني المتوفى في مفتتح السنة السابعة ، وكتابه هذا مرتب على المسالك المعنوي على نمط فقه اللغة للشماخي .

٣ - العباب الزاخر واللباب الفاخر ، لرضي الدين الصفاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ وهو كتاب غزير المادة وصل فيه المؤلف الى باب الميم ولم يتمه ، وقد جاء ما تم منه في ٢٠ جزءاً اوله :

٤ - كتاب التكملة والذيل والعلة جمع فيه ما فات الجوهرى وكتابه هذا واسمائه ...

٥ - مجمع البحرين جاء في اثني عشر مجلداً ، وله .

٦ - كتاب الاضداد جمع فيه الالفاظ تدل على الشيء وضده .

واشهر المعاجم التي جادت بها افلام اللغويين في المائة الثامنة :

١ - لسان العرب لابن الفضل محمد بن مكرم الافريقي ويعرف

بابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ . وهذا المعجم من اوثق المعاجم واجدورها بالاعتماد وهو من اوسع ما وصل اليانا من المعاجم المعتبرة .

٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لاجماد بن محمد

المقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ شرح فيه ما جاء من غريب الالفاظ في شرح الوجيز في فقه اللغة الشافعية للرافعي فهو من قبيل كتاب المغرب في ترتيب العرب للمطرزي . قال في آخره : وكنت جمعت اصله من نحو سبعين مصنفاً ما بين مطول ومختصر .

٣- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال ولا سيما ما يحتاج إليه في شرح غريب بعض الآثار وضم إليه كثيراً من تهذيب الأزهري وغيره .

ثم دخلت المائة التاسعة وفيها ألف مجد الدين الفيروزبادي الشيرازي كتابه الذي أسماه « القاموس المحيط والقاموس الوسيط الجامع لما في كلام العرب من شواطيط » واشتهر باسم القاموس ، وقد كان مؤلفه جليله مقدمة لمعجم واسع وسمه باللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والمباسب يجرى في ستين سفرًا كما أشار إلى ذلك مؤلفه في خطبة القاموس ، ولشهرة القاموس أخذ كثير من مؤلفي المعاجم ولا سيما الأعاجم منهم بطلقة هذا الاسم على كل ما يؤلف في اللغة من الاسفار حتى صار اسم القاموس عندهم مرادفاً لكلمة المعجم ، ولبعد صيته كثرت عليه الشروح والحواشي والتعليق واحاطه النقاد من كل جانب فاكثروا من القول فيه ، له أو عليه . ولم يزل الأمر بين الأخذ والرد إلى أن جاء أبو الفيض السيد مرتضى الزبيدي الحسني المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ فآلف كتابه الجليل الذي وسمه باسم « تاج العروس في شرح القاموس » جمع فيه زبدة ما في معاجم اللغة المعتبرة من الالفاظ بأسلوب سهل وعبرة واضحة . وكتابه هذا يعتبر آخر ما ألفت في هذا العلم من المعاجم الثورق بها والمعتمد عليها . وقد طبع فجاء في عشرة اصدار ضخام .

هذا وقد ألف جماعة من المعاصرين معاجم افترغوا جهدهم في

تسهيل مواردها على المراجعين ، ولكن مادتهم اللغوية قصرت بهم عن الوصول بهذه المعاجم الى الدرجة التي تكون فيها ، وضع الثقة والاعتماد عند المحققين من اللغويين لهذا العهد . وهذه المعاجم معروفة متداولة لا حاجة بنا الى التوسع في شأنها .

هذا وقد كنا ذكرنا ان من المعاجم ما هو عام في جميع ابواب اللغة كالصاح والقاموس . ومنها ما هو خاص في موضوع كغريب القرآن والحديث ومثلثات الكلام والاضداد وغيرها . ولما كان للقرآن الكريم والكلام النبوي المكان الاسمي في انماض اللغة والرفع من شأنها رأينا ان نلم بتاريخ هذين الفرعين على سبيل الاجمال .

مفردات القرآن

ولا نقول غريب القرآن لأن مدارس القرآن على السن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد اخذت على الغرابة مجامع السبل فلم تجد اليه سبيلا ولا نجد لفظة من العاظه غير مألوقة الاستعمال ومعروفة المسمى واضحة المعنى . وهل الغرابة في الالفاظ الا كونها غير اليقة فيحتاج الى معرفتها الى التنقيح عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة وقديما عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة فأنى لنا ان نلصقها ببعض الفاظ القرآن وقد اجمع الاولون والآخرون على انه افصح كلام عرفته اللغة العربية منذ كانت في العهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة والفضائل المذكورة على لغة العرب ، لأن هذا من اوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال المعين الفياض لعلماء اللسان يردونه ظماء ويصمدون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته وتحرير لغاته واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكنائياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لان الناحية اللسانية هي اول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن ، ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يديرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتنافس كنف فاسفر هذا التآزر عن احسن النتائج واعظم الفوائد . ولا نذيع سرا اذا قلنا ان مفردات القرآن كتر اكيه هي لب لباب كلام العرب وصفوة الصفوة منها وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين بل مثابة امراء القول من المتقدمين والمتأخرين ، والله شيخ المعرفة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الففران « اجمع ملحد ومهتدي وناكب عن الحجة ومعتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد (ص) كتاب بهر بالاعجاز ، ولاقى عدوه بالارجاز ، ما حذى على مثال ، ولا اشبه غريب الامثال ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في افصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولامر به في ان القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في

مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاههم في افرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون اكثر ما يري اليه من المعاني ويوي اليه من المغازي . واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير اليهم السبيل ، واكثر ما يكون تساءلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في اوضاعها وحولها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلا مثل القرآن والايمان والكفر والصلاة والزكاة بمعانيها الشرعية ، وقد غبر الناس على هذا حياته ، ثم مدة حياة اصحابه من بعده . الى ان فتح على العرب ممالك الدجم واختلطوا بحمراؤها وصفرائها وبيضاؤها وسودائها ، ومن ذلك اخذ الناس يدخلون في دين الله افواجا من بين فارسي ورومي ونبطي وحبشي وغيرهم من مختلف الالوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة والمجاورة والمخالطة والمصاهرة والمصاحبة والمناجزة ، وبذلك تداخلت اللغات ونشئت ناشئة من صميم العرب في احضان هذا التبليل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الالسنه ، كما نبتت زابئة من ابناء الاعاجم لقنت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات ، ومن هنا ذرقت لغة امشاج لاهي بالعربية الصافية ولا المعجمة الصرفة ولم تنمأ هذه اللغة أن ملككت المهجين من السنة الدهماء واحتلت مكانة ضيقت فيها على العربية انقاسها . وما كاد ينطوي بساط المائة الاولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شمرت جبهة القوم بمسئس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ القرآن الكريم واستجلاء معانيها التي كانت اسلافهم يدركون مرادهم بحكم سلافتهم ، لانها من نوع ما كانوا به يتفاهمون وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون . ولما رأى عقلاء الامة واهل العلم استرسال امر الاختلال وتناقض الاضطراب والاختبال - استفزتهم الحمية واهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب الصدع ، وسد الثغر . واول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا انه الف في هذا كتاباً اسماه « المجاز في غريب القرآن » وآخر اسماه « معاني القرآن » والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته ، وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين ، وحيث رأيت في كتاب علوم القرآن « قال اهل المعاني » فالمراد بهم مصنفوا الكتب في مفردات القرآن ، ونجد في فهرس كتب الاصمعي كتاباً اسمه « غريب القرآن » والاصمعي من معاصري ابي عبيدة وتأخر عنه قليلاً .

ثم اقبل اهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع انظرك على فهرس من فهارس أئمة اللغة الا وتجد صدره متحلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ومحمد بن القاسم الانباري وابو عمر الزاهد وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب

ابي غييد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٧٣ . وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع عارية من الترتيب غفلاً من التبويب . وكانت بالمعجم اللغوية اشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب ، واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ فألف كتابه المشهور « نزهة القلوب » ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه فبدأ بالهمزة المفتوحة وثني بالمضمومة وثالث بالـمكسورة . وهكذا فعل بـاثر حروف المعجم على الترتيب المشهور ، وهذا الكتاب على صغر حجمه من اتقن ما ألف من نوده وقد قيل انه اقام في تأليفه خمس عشرة عاماً يحرقه هو وشيخه ابو بكر بن الانباري . وكان يعمده بالصحیح والتجوید بين حين وآخر .

ولم تزل التأليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية والاجادة من حيث الكيفية الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٠١ هـ وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى تفسير وتوضيح ، واثبتها في حروفها وذكر معانيها ، فاذا اراد الانسان كلمة وجدها في حرفها من غير تعب . فجمع كتابه هذا بن دقة التحقيق وجودة الترتيب والتبويب ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات الى ان جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المدني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع

فيه ما فات الهروى من الغريب ، وسلك في وضعه مسالك الهروى فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة . وغبر الناس يعتمدون على هذين الكتابين الجليلين وما سبتهما من الكتب المهمة الى ان جاء ابو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالرغب الاصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢ هـ فألف كتابه « مفردات الفاظ القرآن » مرتباً على حروف الهجاء ، مقدماً ما اول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعمارة والمشتقة ، فجاء كتابه هذا من احسن ما ألف في باب من حيث غزارة المادة وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبمد النظر . فهو في نظرنا - افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الالفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الالفاظ ، واصول اشتقاقها ، ولم نعرف من بعده كتاباً يفضل به موضوعه هذا ومن الواضح ان المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم من المعين الذي تستقى منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمقول عن ابن عباس واصحابه والآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد ، نجد ذلك مبثوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة ، وقد احصى منها جلال الدين السيوطي في كتاب « الاتقان » ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الايجاز .

غريب الحديث

لا تعرف العربية بمد القرآن الكريم كلاما يسامي الكلام النبوي او يدانية فصاحة ومبنى وبلاغة، وجمال اسلوب وجلال قدر، وبراعة تركيب، وروعة تأثير، رانه كما يتول شيخ الكتاب ابو عثمان الجاحظ لم يسمع الناس بكلام قط اعم زما ولا اصدق لفظا ولا اعدل وزنا، ولا اجمل مذهبا ولا اكرم، مطلبا ولا احسن موقعا، ولا اسهل مخرجا ولا افسح عن معناه ولا ابين عن فخواه من كلامه صلى الله عليه وسلم ، ورب قائل يقول : اذا كان الامر على ما وصفت فمن اين تسلمت الغرابة الى بعض الفاظه ، وتطرق التعقيد الى بعض مانيه ، والغرابة لا تساكن الفصاحة والتعقيد لا يجاور البلاغة ؟! فنحن نقول : ان الكلام النبوي نزه عن التعقيد والغرابة بالمعنى الذي يريده المتأخرون من علماء البيان ، لانهم لا يريدون بذلك الا الخروج عن جادة المؤلف من الالفاظ بالنسبة الى المتكلم والمخاطب ، فلذا كان اللفظ من مؤلف الخطابين فليس لاحد ان يسمه بسمة الاغراب ، او يصمه بوصمة الابهام ، وان كان غير مؤلف عند غير الخطابين به من الناس اذا الاعتبار - في هذا الباب - مقصور على من يتوجه اليه الخطاب دون غيره ، ولو ذهبنا في تفسير الاغراب والتعقيد عند البيانين غير هذا المذهب وقلنا من شرط الفصاحة في الكلام ان يكون عاريا من كل لفظ غير مؤلف

للناس اجمعين في كل زمان ومكان لما وجدنا كلاما للشكك من عرب الجاهلية
 وصدر الاسلام يستحق ان نخلع عليه حلة الفصاحة ضافية او غير ضافية،
 لاننا لا نعرف لهم كلاما مشوراً او منظوما يخلو من الفاظ غير مألوفا
 بالنسبة للاجيال المتأخرة تدفع السامع او القاريء منهم الى استنطاق
 دواوين الادب ومماجم اللغة ، والاستنجد بالشرح والتعليق .
 والحقيقة ان الغرابة نسبية تختلف باختلاف الداس والزمان والمكان، فرب
 لفظ يكون شائماً دائماً عند قوم ، وعديم الاستعمال قليلاً عند آخرين .
 ورب لفظ يكون معروفاً مألوفاً في زمان او بلد ، ومنكوراً مجهولاً في
 في زمان او بلد آخر ..

هذا واعلم ان النبي (ص) كان يشانه العرب ويكاتبهم افراداً
 وجاعات ، وكانوا على ما تعلم من اختلاف اللون واللغات ، وتباعد
 المواطن واللهجات ، وكان يخاطب كل قوم بلغتهم وعلى اسلوب تفاهمهم،
 وان كان ما يكلمهم به غير معروف تمام المعرفة عند قومه واهله بل قد
 تجهله قبائل معد كلها . فقد روى ان علياً كرم الله وجهه قال للنبي (ص)
 وقد سمعه يكلم وفد بني نهد بلغتهم : « يا رسول الله نحن بنو اب واحد
 وراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره » فقال له : « ادبني ربي
 فاحسن تأديبي » ومن يرجع الى اسفار قبائل العرب غير العدنانية
 يأخذ العجب مما اوتي به الرسول الكريم من البسطة في البلاغة وسعة
 الاطلاع على مختلف لغات الجزيرة من قبائل مضر فلا نحكم على هذه

الالفاظ بالغرابة المطلقة بل علينا ان نبحث عن مواردها . ونقف على ما تكتنفها في زمان ومكان ، وبذلك نصل الى انها قيلت في موضعها ، ووقعت في موقعها بحيث لو حُلَّ محلها غيرها مما نسميه مألوفا الآن لو سم بسمة لاغراب والازرار .

ثم ان كثيراً من الكلام النبوي نقل الينا بالمعنى دون الالفاظ ، والنقلة اكثر من ان يحصوا عدداً وهم مختلفوا الانساب قبيلة وبلداً ، منهم القرشي والكناني والبكري والتغلي ، ومنهم الهمداني والكندي والقضاعي والزبيدي ومنهم المسي والمدني والحضرمي ... الخ .

فاذا نقل احدهم الحديث بالمعنى كان الالفاظ له . وعلى اسلوب كلام قومه واهل بلده . ومن هنا ينكشف لنا السر في ورود بعض الاحاديث على نمط لم يكن مألوفاً في لغة اهل الحجاز وان كان الخطاب منهم ، وما ذلك الا لان اللفظ لبعض الرواة وهم غير حجازي القليلة او البلد . وهذا هو السر ايضا في ان المتقدمين من النحاة لم يجملوا الحديث اساساً في الاستشهاد لتقرير قواعد النحو واستخراج مسائله . واول من وسع دائرة الاستشهاد به وعول عليه في اثبات القواعد وتقرير المسائل امام المتأخرين من الصحويين محمد بن عبدالله بن مالك الاندلسي المتوفى سنة ٦٢٧ هـ والحق معه لان المتقدمين الاولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في العربية ، فاذا ابدلوا بعض الالفاظ بالحديث بالفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها .

وانرجع الى ما نحن بصددده من الكلام في تاريخ علم غريب الحديث فنقول :

اول من جمع في هذا العلم شيئاً ابو عبيدة معمر بن المثنى جمع فيه كتاباً صغيراً اذا اوراق معدودات لانه مبتدئ ، ولان في الناس اذ ذاك بقية ، وغصن اللغة لم يزل وريقاً ، فلم تكن الحاجة ماسة الى الكثير مما يعده المتأخرون غريباً لانه لم يكن اذ ذاك بالغريب .

ثم جاء النضر بن شميل المازني لجمع في ذلك كتاباً اكبر حجماً من كتاب ابى عبيدة واوسع فيه الشرح والايضاح ، ولكنه لم يخرج عن ان يعد من المختصرات .

والف الاصمعي كتاباً اربى فيه على كتاب ابى عبيدة من حيث المادة والتبسط في البيان والتوضيح . ثم ان كثيراً من أئمة اللغة جمعوا طوائف من الاحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها ، وهم في الغالب يتواردون على الحديث الواحد فيشرحه كل على مبلغه من العلم ولم يكدر احدهم ينفرد عن غيره بالشيء المهم .

وغبر الناس على هذا الى ان جاء ابو عبيد القاسم بن سلام فالف كتابه المشهور في هذا الموضوع ، وجمع فيه من الاحاديث والآثار ما لم يجتمع في كتاب من قبله . وقد روى عنه انه كان يقول : جمعت كتابي هذا في اربعين سنة فهو خلاصة عمري . وقد انتشر هذا الكتاب وذاع صيته لذلك العهد واعتمد الناس عليه في موضوعه .

فلما كان عصر عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ورأى ما عليه الناس من الاعتماد على كتاب ابي عبيدة ، ووجد ان هذا الكتاب لم يأت على معظم الاحاديث واكثر الآثار تحتاج الى الايضاح والتبيين - عمد الى تأليف كتاب جمع فيه ما اغفله ابو عبيدة في كتابه ونحاه فيه ما نحاه من طريقة التفسير والشرح . وكان ابراهيم بن اسحاق الحربي ماصراً لابن قتيبة فالف كتابا واسما جمع فيه الشيء الكثير من الاحاديث والآثار ، وبسط القول واطال الشرح ، ولكن الناس زهدوا في هذا الكتاب لان المؤلف اطاله بذكر الاحاديث بطرق اسانيدها وذكر متونها من اولها الى آخرها . ولم يكن في بعضها الا الكلمة والكلمتان مما يحتاج الى الشرح والتفسير .

ثم تتابع الأئمة على التأليف في هذا العلم واقبلوا عليه ايما اقبال فقلما نجد كبيرا من كبراء اهل هذا العلم الا وله شيء في هذا الباب مثل شمر بن حمدويه ، وابي العباس ثعلب ، وابي العباس المبرد ، وابي بكر بن الانباري وابي عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب وغيرهم .

ثم جاء الامام ابو سليمان احمد او « محمد » بن محمد الخطابي البستي المتوفي سنة ٣٨٦ هـ فالف كتابا سلك فيه مسلك اب عبيد وابن قتيبة ، ولكنه قصره على ذكر ما لم يورده في كتابها فجاء كنحور من احدهما حجبا .

وغير الناس زمناً يتداولون هذه الامهات الثلاثة ويعولون عليها في بابها ، واسكن هذه الكتب وما قبلها - ما عدا كتاب الحربى - لم تكن مبوبة تبويبا يسهل على الناس المراجعة ، وفي هذا ما فيه من العناء على المراجعين فاذا اراد المرء معرفة كلمة غريبة وردت في احد الاحاديث لا يهتدى اليها الا بعد جهود كثيرة ، زيادة على انه لا يدري الحديث المطلوب في اى الكتب الثلاثة هو ، فيحتاج الى استقرارها واحداً واحداً . فلما كان عصر ابى عبيد احمد بن محمد الهروي - وكان معاصراً للخطابي - الف كتابه المشهور في غريب القرآن والحديث ورتبه مئة في على حروف المعجم على ما قلناه في مفردات القرآن . وقد جمع في كتابه هذا ما في كتاب ابى عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، واصناف الى ذلك ما تتبعه بنفسه مما لم يرد في كتب من تقدمه .

ثم جاء الامام محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فالف كتابه «الفائق» ورتبه على حروف المعجم . والكنه عندما يريد شرح كلمة غريبة من حديث يشمل على اكثر من كلمة غريبة يورد الحديث كله او بمضه ويشرح كل ما فيه من الغريب ، وبذلك يشرح كثيراً من الكلمات في غير حروفها فيسر على المتتبع الدثور على مطلوبه بالسرعة ولذلك لم يشتهر كتابه اشتهار كتاب الهروي مع ما اودعه من الحقائق اللغوية والتدقيقات العلمية.

وجله أبو موسى محمد بن أبي بكر المدني الاصفهاني فالف كتابه
في الغريبين جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث على ما
علمت في الكلام على غريب القرآن .

والف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتابه في الغريب ، نهج
فيه نهج الهروي بل هو كالختصر منه .

وكان من معاصريه العلامة أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف
بأبنا الأثير الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فرأى أن أحسن ما
يرجع إليه في هذا الشأن كتاب الهروي وأبى موسى المذكورين وقد
رأى أن الإنسان إذا أراد كلمة غريبة يحتاج إلى أن يتطلبها في أحد
الكتابين فإن وجدها فيه والأطلبها من الكتاب الآخر ، وهما
كتابان كبيران في مجلدات ، فعمد إلى جمع ما فيهما من غريب الحديث
مجرداً من غريب القرآن ، وأضاف كل كلمة إلى اختها تسهلاً للكلمة
الطلب ، وقد ضم إليهما الشيء الكثير مما لم يوفقا إليه من غرائب الكتب
الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المدونة في أول الزمان
وأوسطه وآخره ، ومن كتب اللغة على اختلافها ، وقد سلك طريقة
الكتابين المذكورين في الترتيب والتبويب على حروف المعجم ملتزماً
الحرف الأول والثاني من كل كلمة واتباعها بالحرف الثالث منها نظراً
إلى الحروف الأصلية من الكلمة دون الزوائد ، وأنه كثيراً ما يعتبر

الحروف الزائدة في أوائل بعض الكلمات بمثابة الحروف الاصلية تسهيلا على الطلاب ولا سيما الذين لا يكادون يفرقون بين الاصل والزيادة، على انه عندما يذكر ذلك يذهب على اصل الكلمة لئلا يظن ظان ان الزائد اصلي فيخطئ عليه الامر. واسمى كتابه هذا «النهاية في غريب الحديث والآثر» وهو اجل كتاب الف في هذا العلم واجمه، وعليه الاعتماد في فنه، وقد صار مستمداً لمؤاني المعاجم اللغوية من بعده. ولا نعرف ان احداً الف بعده كتاباً يساويه او يقاربه غير ان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كان قد لخص هذه النهاية في كتاب اسماء «الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الاثير» وقال انه ضم الى كتابه هذا كثيراً مما فات صاحب النهاية، ومن وقف على النهاية ثم وقف على هذا الكتاب لم يرق لنظرة الرجوع اليه مرة اخرى لان جلال الدين السيوطي بانخيصه هذا ذهب بروق الاصل وجماله، وضيق منه واسعا فسيحا، هذا وانما تراجمت اقلام اهل العلم في باب غريب الحديث اكثر من ازدحامها في باب مفردات القرآن لان الاحاديث الآثار فسيحة الرقعة منتشرة الاطراف واسعة الارحاء، وقبلما توفق العالم المبرز الى استقراء اكثرها فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيراً مما فاته، ثم يأتي ثالث فيستدرك على الثاني وهكذا على ما علمت فيما مضى، بخلاف القرآن الكريم فانه مجموع بين دفتيه، متواتر بكل ما في معنى

التواتر من قوة ، وبهذا يسهل على اهل العلم استقصاء كل ما فيه من المفردات فلم يبق الا اختلاف انظارهم في تفسير بعض الكلمات واختلافهم في ايجاز الشروح او الاطناب فيها ، واختلاف اذواقهم في الترتيب والنوب ، والتنقيح والتهذيب ، وهذه امور ليست من الصعوبة بمكان ، بخلاف ما يمانيه المؤلفون في غريب الحديث من التتبع الكثير والاستقراء الواسع ، هذا ابن الاثير بعد ان وقف على ما وقف عليه من جهود العلماء في هذا الباب واستقرى ما وصل اليه جهده من المصنفات الكثيرة في الحديث والآثار ، تجده مع ذلك كله يقول في خطبة نهايته « كم يكون قد فاني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها احاديث رسول الله ﷺ واصحابه وتابيحهم جوامها الله ذخيرة لغيري يظهرها على يده ليذكر بها ، ولقد صدق القائل : كم ترك الاول للاخر ، يقول هذا وهو من هو في غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وطول الباع ، في علوم الشريعة وفنون الآداب .

التمر

قلنا في تاريخ علم اللغة ان انبساط العرب في الارض على عدان نهضتهم المروفة دفع بلغتهم الى الاحتكاك بلغات الامم المختلفة فاخذ اللحن يذب في عروقهم والعجمة تسري في اطرافها . وان اول ما منيت به الاضطراب في اعرابها ، والاختلاف في نظام تركيبها . والاعراب

اجل حلية تنجلي به لغة مضر وانفس اعلاقتها ، واجلى مميزاتا ، واجل
مفاخرها . فمز على ابنائها وذويها ان تصاب على مرأى منهم ومسمع
وهم عنها لاهوت ، فهب فريق من عقلائهم ، واهل المواهب فيهم ،
حفزتهم الحمية القومية ، والغيرة الدينية ، والحنكة السياسية الى بذل الجهد
في نصرتها وتميز جازها ، وكان مجلى الحلبة في هذا المضمار ابو الاسود
الدؤلي الككناني احد اعلام البابين ، فعل ذلك باشارة امير المؤمنين
علي بن ابي طالب (رض) وكان ابو الاسود من اعلام شيعة
وانصاره . فعمد ابو الاسود الى ضبط بعض التوازين ، واستقرأ بعض
الابواب وكتب في ذلك صحيفته المعروفة عند النحاة بالتمليقة وهي
اول صحيفة دونت في علوم اللسان العربي .

واختلف الناس الى ابي الاسود يتلمون منه القواعد التي وضعها
واطلق عليها اسم « النحر » . وتخرج به في هذا العلم جماعة كانت من
انهمم ابنه عطاء ويحيى بن يمر العدواني ، ونصر بن عاصم اللبشي
وميمون الاقرن ، وعنبسة بن معدان الفيل . ثم تخرج بهذه الطبقة جماعة
وبهمؤلاء آخرون على ما عرفناه في تاريخ علم اللغة . ولم يزل امر هذا
العلم في توسع الى أن كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي فجمع متفرقه ،
وفصل قواعده ، واكمل ابوابه ، وهذب مسائله . وبالجملة فان الخليل
يعد امة في علوم اللسان العربي .

✓✓ واخذ النحو عن الخليل جماعة من انبهم سيديويه . وقد ألف كتابه الذي اسماه « قرآن النحو » ، وعقد ابوابه بالفظه ولفظ الخليل . فاذا جاء في كتاب سيديويه لفظ « حدثني » او « قال لي » او « اخبرني » او نحو ذلك من غير ذكر احد فانه يريد الخليل .

البصريون والكوفيون

ان ابا الاسود وان كان كوفي المولد الا انه بصري النشأة . وفي البصرة وضع حجر الزاوية في اساس علم النحو . وكان تلامذته من اهلها ، وكذلك تلامذتهم . ولم يزل النحو ريبا للبصريين ينتقل في حجور أئمتهم زمنا قبل ان عرفه الكوفيون .. واول من عرف النحو ✓ من الكوفيين شيبان بن عبد الرحمن التميمي المتوفي سنة ١٦٤ هـ وكان في الاصل من ثقة البصريين واكثرت هاجرا الى الكوفة واتخذها دار إقامة له . وهو من تلاميذ ابي عمرو بن العلاء . ومن اخذ عن ابي عمرو من الكوفيين ابو جعفر الرؤاسي . وكان معظما عندهم وحجة لديهم . ويقولون ان كثيرا من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه . وهو اول من وضع كتابا في النحو من الكوفيين . وقد اسماه « الفصيل » قيل : ✓ « ان كل ما في كتاب سيديويه من قوله « وقال الكوفي كذا » انما عني به الرؤاسي هذا » .

وكان عمه معان بن مسلم الهراء معاصرا له . وهو نحوي مشهور

وهو الذي أبدع التصريف على ما سوف تعلمه . وتخرج بهذين

الامامين جماعة اشهرهم وانهم علي بن حمزة الكسائي . وكان حضر في

حلقة الخليل بن احمد . وضرب في البوادي سنين كثيرة يأخذ عن

اقحاح الاعارب وفصحائهم الى ان استوى اماما غير مدافع . واليه

انتهى علم العربية والقراءات بالكوفة وهو الذي رسم للكوفيين

الحدود التي احتذوا امثالها . وخالفوا فيها البصريين وكان عندهم كالتحليل

عند البصريين ومن هنا امتاز نحو الكوفة عن نحو البصرة . وبدأ

التدافع والتنازع بين الفريقين . ومن اشهر امثلة ذلك المناظرة التي دارت

بين امامي المصريين : الكسائي وسيبويه في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ،

وتحرير الخبر : ان سيبويه قدم على البراءة وافداً . فزم يحيى على الجمع

بينه وبين الكسائي فجعل لذلك يوماً . فلما حضر سيبويه تقدم اليه

تلميذا الكسائي خلف والبراء . فسألاه مسائل عن قول العرب :

« وقد كنت اظن ان المقرب اشد لسعة من الزبور فاذا هو هي . او

فاذا هو ايها . » فقال سيبويه : « فاذا هو هي ، ولا يجوز النصب .. »

وسأله عن امثل ذلك نحو : « خرجت فاذا محمد القائم او القائم » فقال

سيبويه : « كل ذلك بالرفع » . وقال الكسائي « العرب ترفع كل ذلك

وتنصبه » فقال يحيى البرمكي : « قد اختلفتما واتما رئيسا بليديكما ، فمن

يحكم بينكما ؟ » قال له الكسائي : « هذه العرب يبابك قد سمع منهم اهل

البلدين فيحضرون ويسألون « فاحضروا فوافقوا السكسائي .

وايضاح هذا ان العرب تقول : خرجت فاذا هاشم واقف او واقفاً ، فالرفع على الخبرية وهو الاكثر ، وعليه قوله تعالى : « هي حية تسمى » « فاذا هي شاخصة ابصارهم » « فاذا هي يبضاء للناظرين » « فاذا هم خامدون » ... والنصب على الحالية ، وهو قليل . واذا قيل : خرجت فاذا هاشم الواقف وجب الرفع وامتنع النصب عند البصريين لان من شروط الحال عندهم ان تكون زكرة « والواقف » هنا معرفة . ومثل ذلك قولهم : « فاذا هو هي » فلا يجوز عندهم الايتان بضمير النصب وهو « اياها » بدل ضمير الرفع وهو « هي » لان « اياها » لا يصلح ان يكون حالاً لانه معرفة بل هو من اعرف المعارف . ولانه غير مشتق . وشرط الحال عندهم ان تكون مشتقة ...

اما السكوفيون فيستندون في قولهم هذا على السماع وان كان قليلاً . والبصريون يرجعون ما سمع من ذلك الى ما اشترطوه بضروب التأويل معروفة عندهم ومبثوثة في كتبهم ..

ومن هذا تعلم ان سيديوه اعتمد في جوابه على قاعدة اهل بلده والسكسائي انتصر عليه بسماعه عن اعرابه . وهذه المسألة هي المشهورة عند النحاة بـ « الزنورية » . واليها اشار الاديب ابو الحسن حازم بن محمد الانصاري الاندلسي المتوفي سنة ٦٨٤ هـ في منظومته المشهورة :

والعرب قد تحذف الاخبار بعد اذا
 اذا عنت جأة الامر الذي دها
 وربما نصبوا للحال بعد اذا
 وربما رفعوا من بعدها وربما
 فان توالى ضميران اكتسى بهما
 وجه الحقيقة من اشكاله غمها (١)
 لذلك اعيت على الافهام مسألة
 اهدت الى سيئويه الخنف والغمها (٢)
 قد كانت المقرب العوجاء احسبها
 قدماً اشد من الزبور وقع حما (٣)
 وفي الجواب عليها هل اذا هو هي
 او هل هراياها قد اختصما
 وخطأ ابن زياد وابن حمزة في
 ما قال فيها ابا بشر وقد ظلمها (٤)
 وغاز عمر ايلي في حكومته

(١) الغم هنا : كناية عن الخفاء والغموض . (٢) والغم : جمع الغمة ، وهي الكربة .

(٣) الجمة : سم المقرب وضرها . والجمع حما وحجات

(٤) ابن زياد : هو يحيى بن زياد (الفراء) وابن حمزة : علي بن حمزة —

يايته لم يكن في امره حكماً (١)

كفيظ عمرو عليها في حكومته

يالينه لم يكن في امره حكماً (٢)

والغبين في العلم اشجى محنة عرفت

واربح الناس شجوا عالماً هضماً

وهذه الحادثة اوضح مثال يمتاز به احد المذهبين عن الآخر . فان

البصري يبنى قاعدته على الاغلب الشائع ، ويرى ما وراءها من الشاذ

والنادر ناحية ، او يجتهد في ارجاعها الى قاعدته بضرب من التأويل

والتوجيه ، اما السكوفي فيسمع الشاذ او النادر ويجعلها اصلاً يقيس

عليه غيره فكثير مما يعتبره البصريون شاذاً او نادراً يعتبره السكوفيون

قاعدة واصلاً . وبذلك تنتشر المسائل وتتسع دائرة الجواز اصف الى

ذلك ان البصريين لا يعتمدون على التأصيل والتفريع الا على العرب

الموثوق بمرئيتهم من الذين توقفت سلاقتهم ، وابتعدت عن الحواضر

— (الكسائي) . وابو بشر (سيبويه) . والمعنى ان الفراء وشيخه الكسائي خطأ

سيبويه في هذه المسألة ظالماً منها .

(١) عمرو : اسم سيبويه . وعلى اسم الكسائي . والالف في قوله حكماً

للاطلاق والحكومة : الحكم .

(٢) المراد بعمرؤ في هذا البيت (عمرؤ بن العاص) وبعلي : علي بن ابي

طالب ، وبالحكومة التحكيم . والحكم من يرتضيه الخصمان للحكم بينهما .

مضاربهم ، بخلاف الكوفيين فانهم قد يعتمدون على من كان يجاور
 مصرهم من الاعراب الذين خارت سلاقتهم ، واختلت السننهم لكثرة
 ترددهم الى الحواضر ، واختلاطهم بالاكورة من الانباط ، فالبصريون
 لا يرون الاعراب الذين يحكي عنهم الكوفيون حجة ، وكانوا
 يعبرونهم بهذا ، ويقولون لهم : « اخذتم عريبتكم عن باعة اللبن واكلة
 الكوامخ ، ونحن اخذنا عريبتنا عن حرشة الضباب واكلة اليرابيع »
 زد على هذا وذلك ان جماعة من رواة الشعر الكوفيين كانوا يصنعون
 الشعر وينسبونه الى غير اهل ، وعلى رأس هذه الجماعة المفتلة حماد بن
 هرمز الديلمي اللحانة المصحف الكذوب ، وكان النحاة من اهل
 الكوفة يعتمدون على هذا النوع من الشعر المختلط ويستشهدون به
 على تقرير قواعدهم وتأيدها . وهذا ما حمل البصريين على طرح نحو
 الكوفيين والاستخفاف به ، زيادة على اضطراب اوار المنافسة بين علماء
 المصريين من اول يوم . ولا يعلم ان احداً من البصريين اخذ شيئاً من
 النحو عن الكوفيين ، ولا روى عنهم شيئاً من الشعر يعتمد عليه في
 الشاهد الا ما كان من ابى زيد الانصاري البصري فانه روى عن
 المفضل الضبي الكوفي لثقتة في الشعر وامانته ..

على ان البصريين في تحرجهم واكثر تشدهم ضيقوا على العربية
 صدرها الواسع في كثير من المواطن التي تتطلب سمة وانبساطاً ، ولا

يتسم هذا الباب للافاضة في هذا ، وسنفرد له فصلا برأسه في غير هذا المكان ان شاء الله تعالى ...

وانتهت رئاسة الكوفية من بمد الكسائي الى يحيى بن زياد الفراء . وكان اخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ، واخذ عن اعراب وثق بهم ، وعن يونس من البصرية ، وكان المأمون قد رسم ان تفرد له حجرة من حجر دار الحكومة ، ووكل به من يكفيه كل حاجته ، وعين له الوراقين ، والزمره الامناء والمنفقين . وامره ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب فكان يعلل والوراقون يكتبون ، حتى اتم تصنيف كتابه المعروف بـ كتاب الحدود . وجمع فيه ستة واربعين حداً في النحو ، والـ ألف كتاباً اخرى وكان يتغلف في تصانيفه . وكان الكوفية يلقبونه : امير المؤمنين في النحو .

ولما انشأت بغداد ، وصارت حاضرة الخلافة ، وعاصمة آل عباس ، وراجت فيها سوق الآداب كان الكوفيون اسبق الناس اليها لمكانة الكوفة من بغداد من الوجهتين : السياسية والجغرافية . ولهذا وجدنا ان علماء الكوفة اتصلوا بقصور الخلفاء والامراء ، واحتلوا الصدور من حلق تدريسها ومحافل اداها . فكان الكسائي عند الرشيد والفراء عند المأمون بالمكانة السامية . وكان مذهب الكوفية ما علمت من التساهل في التأصيل والتفريع ومن ثم وجدنا تلاميذهم من البغداديين مولعين بالروايات الشاذة . يتفاخرون في النوادر ، ويتباهون

بالتريخيات . واعتمدوا على الفروع ، ولم يأبهوا للاصول ، ومن هنا
تولد مذهب مضطرب النواحي كثير التماريج ، عرف بمذهب
البغداديين ، ولما كان هذا المذهب احط من اييه الكوفي طرحه
الجمهور وما اقاموا له وزنا .

ثم تكاثرت الناس حول موارد هذا العلم ، وازدهرت اقدامهم في جنباته ،
وتكاثرت فيه التصانيف ما بين مطولة ومختصرة ، وبين عامة مشتملة على
جميع ابوابه ، وخاصة مقتصرة على باب او بضعة ابواب ، وكثر الأخذ
والرد بين ارباب المذاهب من البصرية والكوفية والبغدادية ، وطال
الاجاج ، وكثر الحجاج ، وتمطت الابواب والفصول ، وانتشرت المسائل
واشتبكت الفروع . وبينما الناس في هذه الضجة في المشرق ، كان النشاط
آخذاً مأخذه في تكوين الدولة الأندلسية في الغرب . وقد اولى ملوك
هذه الدولة واشتدت رغبتهم في تنشيط الحركة الأدبية ، وتعزيز جانبها ،
افتشاء لآثار اوليهم في شاماتهم ، ولأحياء لما أثرهم في ايام زهومهم ، ومباراة
لأبناء عمهم في بغدادهم . فكان همهم تقريب اهل الادب والحدب عليهم
والحرص على تكريمهم وتبجيلهم ، وقد ادرؤا لهم اخلاف النعم حافلة ،
وخاموا عليهم حال الفواضل صافية ، مما زاد في اقبال الناس على المعارف
يردون حياضها ، ويرتشفون زلالها ، ويرنادون رياضها ، ويتفشيون
ظلالها .. فانجبت تلك المملكة جماعات من فطاحل علماء العربية رجعوا

الى ما اصله العراقيون من الاصول ، وما فرعوه من الفروع ، فاطالوا
النظر فيه ، ووقفوا على ما بين البصرية والكوفية من خلاف ووفاق ،
وما يستند اليه كل فريق من رواية ودراية ، وتنبأ لهم ما لم ينبأ لغيرهم
من الاطلاع على مرويات المشاركة كلها من منظوم القول ومنثوره ..

وكان جل اعتمادهم على مذهب البصرية ، ومع ذلك فانهم شقوا لهم
طريقاً واضحة تنسب اليهم ، وهي من اقوم الطرق واتقنها لانها لم
تنحرف عن البصرية الا عندما تنحرف البصرية انحرافاً لا تستدعيه
الدراية ، ولا تدعو اليه الرواية ..

ولم يزل هذا المذهب آخذاً في التوسع مع تكمده بالعقل
والتهذيب ، وحسن التفصيل والتبويب ، الى ان طغى سيل الافرنجة على
تلك الربوع ، ولجأت سمؤها بشموسها واقارها ، فولى علماءها
وجوهم شطر المشرق ، وفضلوا الجلاء عن الاوطان على الوقوع في
شباك الهوان ، فتكاثرت في المشرق عديدهم ، وازدانت مدارسه بمعارفهم ،
واخذ مذهبهم يزاحم مذاهب المشاركة ولا سيما في دمشق والقاهرة ،
حتى احتل الصدور ، ولا سيما في العصور المتأخرة ..

هذه المذاهب الاربعة هي المذاهب الكبرى في هذا العلم واليها
المرجع في حل المشكلات ، وايضاح المضلات ، والا فهناك مذاهب
كثيرة يكاد عددها يتعسر على العادين . إذ لكل امام في الحقيقة مذهب

خاص به يخالف فيه غيره ولو من بعض الوجوه ، فلسيبيويه اراء يخالف فيها شيخه الخليل . وللاخفش الاوسط اراء يخالف فيها شيخه سيبيويه والافراء مذهب ينحرف عن مذهب السكسائي في غير ما موطن . وهكذا نجد لكل عالم من علماء العربية اراء تخصه ، تكثر او تقل حسبما اوتيته من بسطة في العلم ، وقدرة على الابداع ، ولكن مرجع هذه المذاهب المختلفة الى تلك الأمت الاربع ، واصول هذه الاربعة اثنان : البصرية والكوفية ، اما مذهب البغدادية فمرجه الكوفية ، واما مذهب الاندلسية فمرجه البصرية ..

وقد افرد بعض العلماء مسائل الخلاف بين هذين الفريقين بالآليف واحصى في ذلك مائة مسألة ونيف اوردها جلال الدين السيوطي في كتاب : « الاشباه والنظائر النحوية » .

ولما كان النحو ملازماً لمتن اللغة ، لان اللغة هي المحور الذي تدور عليه سائر العلوم اللسانية التي يمد النحو في مقدمتها راينا انه قلما يتبحر عالم في النحو الا وهو امام في اللغة وبالعكس .. فاذا استعرضنا أولئك اللغويين الذين اومأنا اليهم في تاريخ علم اللغة ، فكأنما استعرضنا جماعة النحويين ، ولهذا لا نرى حاجة الى تكرار تلك الاسماء في هذا المقام الا اذا دعت الضرورة كما نرى ..

وما كاد ينطوي بساط القرن الرابع الهجري حتى اصبح النحو

يعد في زمرة العلوم الناضجة ، وقد تطورت حالته بتطور الحالة العلمية على وجه العموم .

وكان في مقدمة نخبة المائة الرابعة : ابو بكر بن محمد بن السراج البغدادى صاحب الاصول الكبير وحمل الاصول والموجز وشرح كتاب سيبويه . وكان قد عول على الاخفش والكوفيين في كثير من المسائل وكانوا يقولون : « كان النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج باصوله » . ومن أئمة هذه المائة أبو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج وتلميذه ابو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب « الجمل » . وابو بكر محمد بن القاسم الانباري احد علماء الحفاظ . قيل انه كان يحفظ ٣٠٠ الف بيت من شواهد العربية ، وهذا من المبالغة بمكان ولكنه على كل حال يدل على سعة حفظ الرجل . ومنهم ابو سعيد بن عبدالله السيرافي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ صاحب كتاب الاقناع ، وله شرح لكتاب سيبويه من اجل الشروح قدراً واعظها فائدة ..

ومنهم علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ؛ اول من مزج النحو بالمنطق ، وألف كتاب الحدود ، وشرح اصول ابن السراج وكتاب سيبويه . وله كتاب معاني الحروف وغير ذلك ، ومنهم ابو علي الحسن بن احمد الفارسي صاحب التصانيف الكثيرة منها الايضاح ، التكملة ، الحجة ، التذكرة ، المسائل الخلية والبغدادية ، والقصرية ، والنصرية ،

والشيرازية ، والمسكرية ، والكرمانية ، والهيثية وغيرها . ومن حسنات الفارسي بل من حسنات هذه المائة ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ تلميذ الفارسي ، واحد اعلام العربية الذين خدموها خدمة تذكر فتشكر . ومن تصانيفه : الخصائص في عدة مجلدات ، وسر الصناعة واللمع ، وكان نسيج وحده في صناعة التصريف على ما ستقف عليه ان شاء الله تعالى .

واتسعت دائرة النحو في المائة الخامسة ، وكثر النحاة واشتهر منهم جماعة كبيرة من اشهرهم : عبد القاهر الجرجاني الامام المشهور المبدع ، له في النحو : المفنى ، والمفتصد في شرح الايضاح . وله العوامل المائة . وهو اول من ابدع هذه الطريقة في النحو ، وله كتاب الجمل وله العمدة في التصريف ..

ومن مشهورى هذا العصر : علي بن عيسى الربيعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ احد تلاميذ الفارسي الافذاذ ، وهو الذي قال له بعد ان لازمه عشر سنين : « ما بقى شي محتاج اليه ، ولو سرت من المشرق الى المغرب لم تجد أعرف منك بالنحو . » ومن هنا اتجهت الالفاظ الى تخليص المسائل الكثيرة وتحريرها ، ولم القواعد المنتشرة وتلخيصها وجمع ذلك في كتب مختصرة اسموها « بالتون » ويستظهرونها بكل عناية ، ولهذا اشتدت رغبتهم في الاختصار وادخال الممانى الكثيرة تحت الالفاظ

القليلة. وانجرت بهم الحال الى المبالغة في الاجاز ، بل كان كثيراً ما ينجر الامر ببعضهم في هذا الباب الى الابهام والنعمية ، وقد بلغ هذا الاسلوب من التأليف ابعاد شأوه في المائة السادسة والتي بعدها فقد نشأ في هاتين المائتين جماعة من فحول علماء العربية حبب اليهم التحرير والتهذيب ، وحسن الترتيب والتبويب ، ثم منهم من كل يعني بالاستقصاء والاستيعاب ، ومنهم من كان يقتصر على المبادئ والابواب التي لا بد منها تسهيلاً للامر على المبتدئين من المتعلمين ، ولما كانت العناية متوجهة الى تسهيل الحفظ وكان المنظوم اسهل حفظاً من المنثور انجبت انظار بعضهم الى نظم مسائل هذا العلم بأساليب مختلفة .

واول من فتح هذا الباب - فيما ندلم - يحيى بن معطى الزواوي المغربي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ . وكان لهذا الرجل عناية فائقة في نظم العلوم اللسانية . فقد نظم ارجوزة في النحو اسمها « الالفيه » وشرح شواهد الكتاب نظماً ، ونظم كتاب الجهرة لابن دريد ، ونظم كتاباً في العروض ، ونظم الصحاح للجوهري ولم يتمه ، وله منظومات في القراءات السبع ، وهو الذي اوضح معالم هذه السبيل لمحمد بن عبدالله بن مالك الطائي المتوفى ٦٧٢ هـ ، فان له في العربية منظومات قل أن جراه فيها مجار في الاولين والآخرين منها : ارجوزته الكافية الشافية في نحو سبع وخمسين وسبعمائة والفي بيت ، ومنها استخلص خلاصته المعروفة

بالالفية وهي اجل منظومة عرّفها علم النحو ، ومن منظوماته : لامية الافعال ، والمقصود والممدود ، وله شروح على اكثر منظوماته . ومن اجل كتبه في العربية كتاب « الفوائد » حشد فيه كل ما حوته مطولات الافديمين من اجاث النحو والتصريف ، ثم لخص هذا الكتاب ورتبه احسن ترتيب واسماه « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » وهو كتاب جليل القدر الا انه موجز العبارة الى حد الغموض في بعض المواطن ، وله عليه شرح لـ كـ لم يتمه . وممن نظم النحو : حازم بن محمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ نظم قصيدة على حرف الميم امتدح بها بعض اصراء المغرب قل في مطلعها :

الحمد لله المعلى قدر من علما

وجاعل العقل في سبل الهوى علما

وقد صرت بعض ابيانها في المسألة الزبورية ..

ومن المنظومات الموجزة في النحو : ملحة الاعراب لابي محمد القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ صاحب المقامات المشهورة . ومن مشهوري علماء العربية في صدر المائة السادسة محمود بن عمر الزمخشري صاحب المفصل .

واشتهر في هاتين المائتين جماعة لعبت ايدي الهم في مؤلفاتهم فلم تبق منها الا النزر اليسير .

ومن اشهر النحاة المبالغين في الاجاز : ابو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفي سنة ٦٤٦ هـ له الكافية في النحو والشافية في التصريف ، وله الامالى النحوية ، وله شرح الكافية وآخر للشافية. وشرح المفصل وآخر للايضاح ، وغيرها ..

ومن مشهوري نحاة هذا المصرفى الاندلس : على بن ميمن المعروف بابن عصفور الحضري الاشبلي المتوفي سنة ٦٦٩ هـ حامل لواء العربية في زمانه بالاندلس ، له كتب في النحو والتصريف ممتعة كانت عمدة من جاء بعده من النحويين ، منها : المغرب وشرحه ، ومنها الممتع وشرحه .

اما نحاة المائة الثامنة فاشهرهم : ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسي الغرناطي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ احدث اعلام العربية الذين استنارت بمعارفهم المصور المتأخرة ، وهو اول من جسر الناس على مصنفات ابن مالك ، ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غوامضها ، وشرح التسهيل شرحا مطولا اسماء « التذيل والتكميل » واختصره في كتاب جاء في سفرين اسماء « الارشاف » ، ولم يؤلف في العربية احسن من هذين الكتابين من حيث الاستقصاء واحصاء ضروب الخلاف ، وله : التذكرة في العربية في اربعة مجلدات وله شروح كثيرة ، وموجزات عديدة ليكتب مختلفة .

ثم جاء علم الاعلام المدققين ، وعمدة النحاة المتأخرين : عبد الله ابن يوسف بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ نفسه من هذا العلم موارد ، وقرب شوارده ، وذلل صوابه ، ومهد ابوابه ، قال ابن خلدون : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيديويه » ، وقال في موطن آخر : « ووصل اليينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علماءنا ، استوفى فيه احكام الاعراب بجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجل ، وحذف ما في الصناعة من التكرار في اكثر ابوابها وسماه بالمننى في الاعراب و اشار الى نكت اعراب القرآن كلها ، و ضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ، ووفور بضاعته منها ، وكان ينحو في طريقته منحة اهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني ، واتبوا مصطلح تعليمه فان من ذلك بشيء عجيب ، دال على قوة ملكته واطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء . »

ومن تأليفه : التوضيح وهو شرح لألفيه ابن مالك ، مع اغفال ذكر الايات ، وله شرح آخر اسماء « رفع الخصاصة » في اربع مجلدات وكتاب « التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل » في عدة مجلدات والتذكرة في خمسة عشر مجلداً . والقواعد الكبرى

والصغرى . واما كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب » فهو الغاية في بابه .

ثم ان عامة المتأخرين من النحويين صاروا عيالا على مؤلفات الزمخشري وابن الحاجب وابن مالك وابن حيان وابن هشام ، من بين شارح ومحش ومعلق مطيل او مختصر .

فشرح الفصل والكافية ، والشافية ، والخلاصة ، والتسهيل ، والارتشاف ، والمغنى ، وحواشيها وشواهدا اكثر من ان تحصى ، وربما يكون للشرح شرح وعلى الحاشية حاشية ، فالتصريح للشيخ خالد الازهري من علماء المائة التاسعة شرح للتوضيح وهذا شرح لالقية ابن مالك .

ولم يأت من بعد النحويين من اخرج للناس شيئا جديداً بلامنى الصريح ، وانما كانت المهتم مصروفة الى خدمة مصنفات السابقين بالتلخيص او الشرح او التحشية والتعليق ... الخ . ومن هنا نارت بين القوم نائرة مناقشات لفظية يابسة انفجرت تحتها الاصول المؤصلة والمسائل المحررة والمطالب العالية المقصودة بالذات من هذه الصناعة ، فبدل ان يشغلوا المطالب بتقدير القواعد وتحرير المسائل ، تجردم يخوضون معه في غير هذا الحديث فيأخذون عليه سمه وبصره وفؤاده بسؤالات وجوابات نأفها : لم قدم هذه الكلمة على تلك وكيف جمع بين هذه وتلك ، وعلام يرجع هذا الضمير ، وما هو

موقع هذه اللانظة من الاعراب ، ولم جاء هذا الباب بمد ذلك الباب ،
ولم عبر بهذه الكلمة دون سواها ... الى غير ذلك من سفاسف الامور ،
وترك الباب الى القشور .

ولهذا نجد الطالب النابه يخوض هذه المعمة بكل ما اوتيته من
قوة ، ويصرف من الوقت والجهد الشيء الكثير ، بكل اسراف وتبذير
ومع ذلك يخرج من هذه المجاجة بغير طائل ، ولا يحور بيده من وراء
هذه الجمجمة شيء من الطحين ..

ومع الاسف فاننا نجد كثيراً من هذه الكتب الجافة تتداولها
الايدي ، وتندارسها المتعلمة من ابناء هذا الجيل ، وما ذلك في نظرنا إلا
لان يد الطباعة تناولتها قبل غيرها فخرجتها للناس فاولع بها من نابئة
العصر من لم تصل يده الى ما سواها او لم يستعد ذهنه لفهم ما وراءها
من صحاح التأليف وجليلها .

ومن اشهر ما تناولته الايدي من كتب المتأخرين : كتاب الشيخ
خالد بن عبدالله الازهرى من علماء المائة التاسعة مثل شرحه على
الاجرومية والازهرية وقواعد الاعراب وغيرها ..

ومن ذلك كتب شيخ المصنفين جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ احد الاعلام الافذاذ الذين انجبتهم المصهور
المتأخرة . له في العربية مصنفات كثيرة من اشهرها : شرحه لالفة

ابن مالك ، وشرح النيته نفسه . وهم الهوامع شرح جمع الجوامع وهو من الكتب الممتعة ، والاشباه والنظائر النحوية . هذا وقد صنف بعض المعاصرين كتباً موجزة ، ورسائل مقتضبة لتوضع بأيدي المتعلمين من ابناء المدارس النظامية تجردت من تحقيقات المتقدمين من حيث غزارة المادة وصحتها ، ولم تنتفع بما ابدعته قرائح المعاصرين من رجال التربية والتعليم ، من بدائع الاساليب ، وتوخى السهولة في حسن الترتيب والتبويب ، ولهذا نجد جل ابناء هذه المدارس يتبرمون من صعوبة هذه الصناعة ويتهيون السير في مسالكها ولأن صاحبهم فيها الدليل الخريت ، وما ذلك الا لانهم يدرسون العلوم الاخرى مصقولة الجوانب ، مهذبة احسن تهذيب ، مبنية احسن تبويب ، مصبوبة بقوالب قدرتها ايدي التربية العصرية ، واصول التعليم ايما تقدير . وبقي هذا العلم كغيره من علوم اللسان العربي في معزل عن هذا الاصلاح الا شيئاً قليلاً لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً .

وقد رأينا ان نذيل هذا الباب بفصل نذكر فيه اشهر الطرق التي اختطها الاولون من النحاة لتسهيل هذا العلم على المتعلمين ونعقبه بفصل نذكر فيه ما يؤخذ على معظم تلك المصنفات ولا سيما المتأخرة منها من وجوه التقصير في هذا الشأن ...

الطرق المشهورة

سلك معظم الاولين من النحويين في تأليفهم مسلك سيديويه في

ترتيب كتابه . وكتاب سيويوه وان كان مبوباً ومرتباً الا ان ترتيبه ليس بمبنى على اساس فني ، فكثيراً ما تجد مسائل في باب منبشة في ابواب اخر ، وقد تتكرر بعض المسائل في عدة ابواب ، ولهذا يتعسر على المراجع الوصول الى المسألة التي ينتفيها ما لم يكن على ذكر من موطنها قبلاً ..

فهذا الكتاب وامثاله اشبه بالمجموعات العالية منها بالكتب ذات الترتيب العلمي ، والتنسيق الفني ، وما ذلك الا لان هم المؤلفين لذلك العهد كان منصرفاً الى تحقيق المسائل ، وتقرير القواعد ، وتأنيدها بالشواهد اكثر من انصرفهم الى حسن الترتيب ، ودقة التبويب .

وعندما استبحر العمران ، وتفجرت ينابيع العلوم الكثيرة من شرعية وادبية وفلسفية وغيرها انجبت الهمم الى بذل العناية في تقريب تلك العلوم من اذهان الطالبين ، وتسهيلاً على المتعلمين ، فكانت حظ العربية من هذه الناحية ليس بالقليل . اذ اقبل فريق من كبار علماءها الى ما تشعث من مسائلها ، وجمع ما تفرق من اصولها ، وعمدوا الى صياغتها في قوالب قدروها تقديرآ ، بأساليب مختلفة حرروها تحريرآ ..

فمنهم من نظر الى موضوع هذا العلم وهو الكلام ، فوجد ان عناصره التي يتألف منها لا تخرج عن امور ثلاثة : الاسم والفعل والحرف ، ووجد ان لكل قسم من هذه الاقسام صفات تخصه وابحاثا

تدور حوله ، فافرد لكل قسم منها بابا فصل فيها مسائله واوضح مقاصده ،
 فيفصل في باب الاسم - مثلا - كونه نكرة او معرفة وانواع المعارف ،
 وكونه مفردا او مثنى او جموعا ، وانواع الجموع وكونه منونا او
 غير منون ، وانواع التنوين ، وكونه معربا او مبنيا وانواع اعرابه
 وبنائه ... الخ ..

ويذكر في باب الفعل - مثلا - كونه ماضيا او مضارعا او امرا
 وكونه مبنيا للمعلوم او المجهول ، وكونه تاما او ناقصا وانواع الافعال
 الناقصة ، وكونه متديا او لازما ، وانواع التعدي ووسائل التعدية
 واللزوم ، وكونه معربا او مبنيا ، وانواع اعرابه وبنائه ... الخ ..

ويبين في باب الحرف - مثلا - اصناف الحروف من : عاطفة
 ونافية وجوابية وشرطية واستفهامية واستتبعالية ومؤكدة
 ومصدرية ... الخ ..

وهناك امور مشتركة تنوارد فيها الاقسام الثلاثة او اثنان منها ،
 مثل الامة والوقف وانتفاء الساكنين وغيرها ، افردوا لها بابا برأسه ،
 فاستوت الابواب اربعة . واشهر من مشى على هذه الطريقة جار الله
 الزمخشري في كتابه المفصل والاموذج ...

ومن النحاة من رأى ان اهم ما يجب على المتعلم لاتقانه تمييز المبريات
 من المبنيات ومعرفة انواع الاعراب والبناء فبنى ابواب كتابه على

اساس العرب والمبنى من الكلام . على ان معظم سالكى هذه الطريقة رأوا ان ينفعوا بشي من اساس الطريقة السالفة ، فجعلوا معربات الاسماء فى جانب ، ومعربات الافعال فى جانب آخر ، كما فعل ابن الحاجب فى كافيته ، وابن مالك فى الفيته .

ومنهم من رأى ان الاعراب اهم ما توجه اليه عنايات المتعلمين ، ورأى ان العرب يشتمل على امور ثلاثة : العامل والمعمول والعمل ، وبهذا انقسمت الابواب الى ثلاثة :

فيذكر فى باب العامل : النواصب والجوازم وحروف الجر والابتداء والتجرد ... الخ ..

ويشرح فى باب المعمول : المرفوعات من الاسماء والافعال والمنصوبات منها والمجرورات والمجزومات ..

ويبين فى باب العمل : الحركات الثلاث ، والسكون والحروف الاربعة « وء ، ي ، ن ، ا » وحنفها ... الخ ...

ولابد لمن يسلك هذه الطريقة ان يفرد بابا للمبنيات كما فعل « البركوي » فى كتاب « الاظهار » ، واول من ابدع هذه الطريقة فيما نعلم عبد القاهر الجرجاني فى كتابه الذى اسماه « العوامل المائة » وقد ابدع ابن هشام طريقة فى كتاب له اسماه « قواعد الاعرب » ورتبه على اربعة ابواب ، بحث فى الأول عن الجمل واقسامها واحكامها . وفى

الباب الثاني عن شبه الجملة وهو الظرف والجار والمجرور ، وفسر في الباب الثالث كلمات يكثر في الكلام دورها ، ويقبح بالمعرب جهاتها ، وهي نيف وعشرون كلمة ، وأشار في الباب الرابع الى عبارات محررة موجزة كثيرة الدوران على السنة المعريين ..

ثم لما ثبتت عنده بالتجربة فائدة هذه الطريقة ، عمد الى توسيعها وتحسينها وصقلها وتهذيبها فالف فيها كتابه « المغنى » المار ذكره ، مرتبا على ثمانية ابواب ، احتوى في الباب الاول منها شرح الادوات الكثيرة التي تدور في الكلام مرتبة على حروف الهجاء وشرح في الباب الثاني الجمل واقسامها واحكامها ، وأوضح في الباب الثالث احكام ما يشبه الجملة وهو الجار والمجرور والظروف ، وبين في الباب الرابع احكاما يكثر دورها ولا يحمل بالمعرب جهاتها ، وعقد الباب الخامس للجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ، وكسر الباب السادس على التحذير من امور اشتهرت بين المعريين والصواب خلافها ، وجعل الباب السابع لبيان كيفية الاعراب ، والباب الثامن لامور كلية يدخل تحتها ما لا يحصى من الامور الجزئية ..

هذه هي الطرق المشهورة البارزة ، والا فان المسالك كثيرة حتى يكاد يكون لكل مؤلف طريقة بل لكل كتاب طريقة تختلف عن غيرها ولو من بعض الوجوه . ولكن العمود الاصلي ما ذكرناه من

الطرق الأربع ، ومبادئها فانه يرجع اليها من حيث المجموع ، وان
اختلف عنها بعض الشيء ...

الصرف

أول من فصل الصرف عن النحو وصيره علما مستقلا هو معاذ
ابن مسلم الهراء المتوفى سنة ١٨٧ هـ .

ويذهب بعضهم الى ان واضعه ابو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٢٩ هـ
والاول هو الصحيح ..

ثم جاء ابو الفتح ابن جني ، ففتح من هذه الصناعة مغاليقها ، وسهل
صعابها ، ووسع رحابها ..

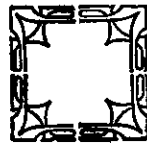
ثم تتابع الناس في خدمة هذا الفن فكتب ابن مالك كتابا فيه ،
وشرحه فسماه : « التعريف » .

وكتب ابن الحاجب مقدمته المعروفة بالشافية ، وتكاثر عليها
الشروح والحواشي حتى صارت تعد بالاعشرات ، وكثير من شروحها
مطبوع متداول ، وقد طبعت لهذا العهد مجموعة تحتوي على طائفة من
تلك الشروح والحواشي .

وكثير من المؤلفين يحنمون كتبهم بأبحاث في التصريف كما فعل
ابن مالك في الفيته ، والجلال السيوطي في كتابه « همع الهوامع » على
ان معظم ابواب التصريف منبثة في ثنايا كتب النحو لمكان الحاجة
اليها هناك .

ومن الكتب الموجزة في هذا الفن : نزهة الطرف في علم
الصرف للميداني ومزاح الارواح لعلّ بن مسمود ، والعزى
والمقصود . وكل ذلك مطبوع متداول ..

وللإعاجم ولوع في مدارس هذا الفن لميس الحاجة بالنسبة اليهم ،
اما العربي فيعرف كثيراً من مسائله بمقتضى سليقته فلا يجد كبير فائدة
بالمقدار الذي يحده الإعجمي ، ولهذا قل المؤلفون فيه من أبناء العرب...



بعض عالقات الكتب المتداولة

في النحو لهذا العهد

لا نريد في هذا المقام ان نؤمن في الاستعراء والاستقصاء ، وكل ما رمي اليه ان نأتي نظرة عجي على جمهرة الكتب التي اتخذ منها المعاصرون مناهج لدراسة النحو في المدرسة القديمة او الحديثة ، ونشير الى بعض العالقات التي منيت بها ، وغضت من شأنها في انظار ابناء العصر ، بل قللت الانتفاع بها الا بعد الجد والكد ، والاسراف في الوقت ، ويمكن اجمال البارز من تلك العالقات في النقاط التالية :

١ - الایجاز الشحيح الى حدّ الاخلال المقصود ، ولا سيما في التون التي وضعا المتأخرون وفي مقدمتهم الامامان ابو عمر عثمان بن الحاجب وابو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك ، وقد تبارى المؤثفون في هذا الشأن ، ولا تبارى الفرسان في مضمار الرهان ، يشبعون المعاني ويجيعون الالفاظ حتى تصاب بالهزال والبهر ، فلا تقوي على حمل ما اثقلت به من المعاني فتجور الى طلاس مومعيات يتعذر على الطلبة الاستقلال بحل رموزها الا بعد النزاع الى المشايخ ، ويتعسر على هؤلاء الكشف عن غوامضها الا بعد الرجوع الى الشروح والحواشي والتعليق .

وقد نعى ابن خلدون على القوم طريقتهم هذه ، وافرد لذلك فصلا
 خاصا في مقدمة تاريخه قال فيه : « وهو فساد في التعليم وفيه اخلال
 بالتحصيل .. » وقال : « قصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم
 صعبا يقطعهم عن تحصيل الملائكات النافعة وتمكنها .. » .

ومسألة الحفظ هذه كانت اولى الغايات وآخرها في هذه المعضلة ،
 يجورون على العبارة كل الجور في التقدير والتقدير ليسهل على الحافظة
 ازدرادها ، وفاتهم ان العلوم انما تطلب لفهم وترسخ ملكاتها في العقول ،
 واما الحفظ المجرد عن الفهم بل المضم فأنه اكبر من نفعه ، وضرره في
 الذهن لا يقل عن الاضرار التي تصيب المعدة من جراء الاطعمة التي
 تهدى فيها من غير مضغ وتحليل ، وان استظهار الالفاظ قبل تحديد
 معانيها الصحيحة في الذهن تحديداً واضحاً يلجأ الذهن بعد الخيرة - الى
 خلق مبانٍ لها قد تكون قصية عن المقصود ، واسكنها تأخذ في الذهن
 مكانها وتستعصي فيه ويسر بعد ذلك على المعاني الصحيحة زحزحتها
 واحتلال مكانها فيحصل من هذا التدافع فوضى ذهنية يستعصى على اطبة
 النفوس استئصالها .

ولهذا نرى علماء النفس يشددون النكير على من يعلم الطفل لفظاً
 قبل تحديد معناه في ذهنه تحديداً واضحاً ، ويستعينون على ذلك
 بالمحسوسات او ما يقرب منها ، ومن ثم ذهب بعض الاعلام من أولينا

الى انه لا ينبغي ان يؤخذ الاحداث بحفظ القرآن الكريم الا بعد ان يستمدوا منهم بتقديم دراسات اخرى . وقال ابو بكر بن العربي : « يا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول امره ، يقرأ ما لا يفهم ... » . وقد استحسن العلامة ابن خلدون هذا المذهب وان احتذر لطيفة بحكم المادة ..

٢ - عدم التدرج في ترتيب المسائل ، ورصف القواعد ، فترام كثيراً يستعينون بالمجهول لا يوضح مجهول مثله فيقولون - مثلاً - « العرب هو المركب الذي لم يشبه مبنى الاصل » مع ان الطالب لم يعرف المبنى المطلق فضلاً عن مبنى الاصل . واذا سأل عن المبنى قيل له : « هو المركب الذي اشبه مبنى الاصل . » ويقولون - مثلاً - « الرفع علم الفاعلية ، والنصب علم المفعولية ، والجر علم الاضافة . » مع ان الطالب لم يعرف شيئاً بعد من امر الفاعلية والمفعولية والضافة ، ومعرفة ذلك كله تتوقف على ذكر الكثير من الفصول والابواب .

وهكذا يجد الطالب نفسه تجاه مجهولات تتكاثر وتتكاثر وفوامض تتراس وتتراكب ، فلا يقوي على تذليلها الا اذا رزق صبراً رصيناً ، وفيض الله له شيئاً بارحاً يعرض امامه - سائلة من المقدمات كثيرة الخلقات ، ثم لا يصل الى المقصود الا بعد جهد جهيد .

ولا ينكر ان بعض المؤلفين انتبه لهذا الامر وحاول التسهيل على

المبتدئين فلا ينتقل الى مجهول - غالباً - الا بعد ان يمهده بمعلوم او يوضحه عن قرب ليصل بالطالب الى غرضه من اقصر الطرق واسهلها .
ويذكر في مقدمة هؤلاء الافذاذ ابو عبدالله محمد بن محمد الضهاجي صاحب المقدمة المعروفة بالاجرومية فانه اقتصر فيها على اللباب وقل من استعمال المجهولات في ايضاح المجهولات ، وذكر بعض الابحاث باكثر من اسلوب لترسيخها في الفهم ، ومشى في كثير من المسائل على مذهب الكوفية - مع انه مرجوح عند المغاربة والمشاركة من نخبة عصره - تسهيلا على المبتدئين من التلمذيين ، لان مذهب الكوفية في هذه المسائل اقرب تناولا الى اذهانهم من مذهب البصرية .. ولكن الشراح والمحشين لم يأبهوا لهذه المزايا ولا حسبوا لها حسابا فحاطوها بما ذهب بفوائدها وعنى على انارها من غوامض المسائل ، وغرب المباحث ..

اذكر اني في مفتح دراستي العربية اخذت هذه المقدمة « الاجرومية » وجلست الى الشيخ لاقرأ ، فقال لي : ان المتن المجرد عن الاعراب لا يفيدك لفائدة المطلوبة واخرج لي نسخة مخطوطة تشمل الصفحة منها على اسطر قليلة ذات كلمات متباعدة ، وشحة بتمايق كثيرة ، على اوضاع خاصة ، وباشكال مختلفة ، فأعطانيها واندفع يسرد لي معنى البسملة بكلام طويل عريض لم افهم منه الا القليل ، وامرني

باستظهار اعرابها: «الباء حرف جر واسم مجرور بالباء، وعلامة جره كسرة ظاهرة في آخره، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره ابتدائي او ابتدائي، وهو مضاف ولفظ الجلالة مضاف اليه وهو مجرور بالاضافة... الخ..» وكان اليوم الثاني، وكان الموضوع «الكلام»، فاندفع يشرح لي معناه عند اللغويين والفقهاء والمتكلمين ثم النحويين بكلام غمّ علي أكثره، ثم اصرني باستظهار الكلام بتعريفه ثم اعرابه «الكلام مبتدأ مرفوع بالابتداء - على الاصح - وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره «هو» ضمير فصل لا محل له من الاعراب... الخ» وهكذا وجدتني تجاه عباب زاهر بمصطلحات لا اعرف لها اولاً ولا آخراً: الحرف، الاسم، الجر، المجرور، المتعلق، المحذوف، المضاف اليه، الاضافة، النعت، التسمية، المبتدأ، الابتداء، الرفع، المرفوع، ضمير الفصل، الاعراب... الخ. الفاظ اشتغل ذهني في ان يفرض لها معان، فاخذ يصوغ ويكسر. وبعد جهد جهد لم يحصل الا على الجمجمة والترجيم، ففزعت الى شرح استعين به فوق في يدي شرح الشيخ خالد الازهري ونظرت فيه واذا بي تجاه مشاكل جديدة: جنس فصل، وضع نوعي، وضع شخصي الى اشياء من هذا القبيل لا يدركها الا من ضرب بهم في العربية وعلوم اخرى، وبالاخير هداني التسأل الى شيخ نبيه فارشدني الى الاختصار على فهم المتن وحده، ثم

الرجوع الى شرح مختصر مقصود على ايضاح المواد بأسهل العبارات ،
والذي يظهر لنا ان الكثير من تلك المؤلفات وضعها مؤلفوها
لتلاميذهم ، وكانوا يقدرونها على استمدادهم ومؤهلاتهم تقديرًا ، فاذا
اراد آخرون لم تنوفر فيهم تلك المؤلفات ان يقطعوا مثل ما اقتطف
أولئك من ثمارها اعيام ذلك - وما قولك ان جمرة المؤلفين في هذا
الشأن من المعاصرين - على شدة عنايتهم في صقل مؤلفاتهم - ذهبوا عن
هذا الامر فوقعوا في المحذور التعليمي الذي وقع فيه من سبقهم ، مع
انهم وضعوا كتبهم لتلاميذهم تكن حصص العربية من وقتهم وعنايتهم
الا ضئيلة فكان عليهم الا يدخروا وسعاً في الزهيب وحسن الترتيب
والتبويب ، نجدهم يقولون - في مبادئ كتبهم مثلاً - « الفعل المتعدي هو
الذي ينصب للمفعول به ، والفعل المعلوم هو الذي يذكر فاعله » مع ان
الطالب لم يعرف شيئاً من امر : النصب والمفعول به والفاعل ، وتفهيمها
يتوقف على دراسة ابواب لم تزل معتمدة في ناصية المستقبل .

يقال : ما العمل والامر يقضي بايضاح تلك المسائل والايضاح
يتوقف على الاستعانة بهذه المصطلحات وان لم يجر ذكرها بعد فالجواب
انه لا يجوز التعرض لايضاح مسألة ما الا بعد اعداد العدة لها ،
وتوضيح العناصر اللازمة لايضاها قبل الاقدام عليه فلا يبحث عن
المتعدي واللازم مثلاً الا بعد معرفة النصب والمفاعيل ولا عن المعلوم

والمجهول الا بعد معرفة الفاعل وما ينوب عنه . وبالجملة فانه لا تجوز الاستعانة بمجهول لمعرفة مجهول آخر ، بل يجب ان تكون الاستئارة بالمعلومات وحدها ..

٣ - الخلط بين مسائل هذا العلم ومسائل من علوم اخرى لا تمس الحاجة اليها ، وليس في مقدور الطالب اساعتها وادراك ما وراءها ، هذا ديدن المتأخرين من الشراح والمحشين ، مثال ذلك قول الشيخ خالد الازهرى في شرحه على الاجرومية : « والصحيح ان الكلام موضوع بالوضع النوعي » ومن اين للمبتدئ ان يدرك مسألة كهذه عجز فحول علماء الوضع والاصول عن حلها حلانهايا . ويتول الشيخ المذكور في شرح ازهريته : « والمفرد ثلاثة اقسام : اسم وفعل وحرف لانه لا يخلو ان يستقل بالمفهومية اولا ، الثانى الحرف والاول اما ان يدل بهيئته على احد الازمنة الثلاثة اولا . الثانى الاسم والاول الفعل ، والعناد حقيقى بمنع الجمع والخلو ، وقد علم بذلك حد كل واحد منها للاحاطة بالمشترك وهو الجنس وبابه يمتاز كل واحد عن الآخر وهو الفصل ، اه . بحروفه وهو كما ترى كلام مغلق لا يعقله الا من ضرب في علم المنطق بنصيب وانى للطالب المبتدئ ذلك ؟ . وفي مثل هذا الموطن يقول شارح القطر : « فان علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب . » فينطلق المحشي يشرح لفظ العرب واشتقاقه وجرعه ومن هم العرب

واقسامهم .. الخ . مما لا مساس له في الموضوع . ويأتي ذلك الشارح في باب العطف بشاهد على ان حتى لا تفيد الترتيب ، وهو الحديث المأثور : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس ، فينطاق المحشى يوضح حقيقة القضاء والقدر وما بينهما من فرق او عدمه ، ويسرد في ذلك آراء المتكلمين من اهل المذاهب المختلفة ، ويأتي الشارح بمثال لماضي المبدؤ بالنون وهو « نرجست الدواء » فينطاق المحشى بسرد خصائص النرجس الطبية وغيرها ، ومما جاء في النرجس ... الخ ص ١٥ .

نعم من الجائز ان يستعان في ايضاح مسائل من علم ، بمسائل من علم آخر ولكن على شرطين : الاول ، ان تلك المسائل يتعذر او يتعسر ايضاحها الا بذلك . والثاني ان يكون الطالب على علم من تلك المسائل الخارجة عن عمله الذي هو بصدد دراسته .

٤ — عدم الموازنة بين مقدرة الطالب وما يحشد له من عويص المسائل وسهولها ، فانك اذا تصفحت مبادئ الكتب التي وضها المتأخرون المبتدئين من المتعلمين تجد فيها مفضلات المسائل محشورة الى جانب السهل منها ...

٥ — حشد القيود الكثيرة ، والرموز العديدة في العبارة القصيرة ولا سيما في التعاريف مما يتعسر بل قد يتعذر على الطالب تغطية تلك القيود واستخلاص المراد من كل منها .

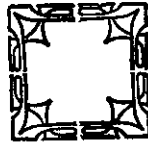
٦ - المناقشة على الالفاظ ، مما لا يعود الى جوهر العلم بفائدة ، وهذا امر عمت به البلوى في معظم كتب المتأخرين .

٧ - التوسع في النظريات التي لا يجتنى الطالب من ورائها فائدة عملية ، مثل تنازعهم على اعراب جمع المذكر السالم هل هو بالحرف ام بالحركة المقدرة ، وكذلك في اعراب الاسماء الخمسة او الستة فقد ارتقت الآراء في ذلك الى نحو العشرة . وتنازعهم هل المضاف الى ياء المتكلم مجرور بالكسرة المقدرة او الظاهرة . وامثال ذلك كثيرة .

٨ - الاعتماد على الامثلة الجافة المكررة واهمال المهم من الشواهد التي هي مادة الكلام ، وعدة المتكلم ، ولذلك نجد ان كتب ابن هشام من انفع الكتب المصنفة في هذا الشأن من هذه الناحية ، لما تشتمل عليه من الآيات الكثيرة ، والاحاديث البليغة ، والامثال السائرة ، والابيات الغزيرة ، وابدد الكتب عن هذه الطريقة كتب الاعاجم مثل الاظهار لبرگوي ، وشرح الملا جامي على الكافية ، ولذلك نجدها قليلة الجدوى يقرأها الطالب وكأنه لم يقرأها ، وللشواهد اثر بليغ في تكوين ملكة البلاغة عند الطالب ولذلك نجد كتب الاقدمين خاصة بها واقرب مثال في ذلك كتاب سيدويه ، فانه يشتمل على اكثر من الف بيت من الشعر ، وعلى مئات الآيات والامثال وعيون الاقوال ، وهذه كتب الشواهد بين ايدينا نستمد منها الكثير من الفوائد ، ولقد كتب احد علماء المائة الثامنة شرحا ممتعا على كافية ابن

الحاجب شحنه بالشواهد والفوائد . فجاء الشيخ عبد القادر البغدادي وشرح تلك الشواهد في كتابه المسمى « خزانة الادب » شحنها بالفوائد الادبية ، والفرائد اللغوية ، والنوادر النحوية والصرفية الى غير ذلك مما يسمو بالطالب الى المستوى الرفيع .

وقد عانى بعض المعاصرين التأليف في هذا العلم وحاولوا تجريد مؤلفاتهم من العاهات التي تنوّبها بعض الكتب المتداولة فيه ولكن اكثرهم وقف دون الناية وعجز عن اتمام المعالجة ولا تزال الهمم مصروفة الى معالجة هذه الناحية وعلى الله قصد البيل .



تأريخ علم البلاغة

انك لا ترى علما هو ارسخ اصلا ، وابسق فرعا ، واحلى جنى ،
واعذب وردا ؛ واكرم نتاجا ، وانور سراجا ، من علم البيان الذي لولاه
لم تر لسانا يحولك الوشى ، ويصوغ الحلى ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ،
ويقرى الشهد ، ويريك بدائع الزهر ، ويجنيك الحلوى الياغم من الثمر ...
الا انك لن ترى - على ذلك - نوعا من العلم قد اتى من الضيم ما لقيه ،
ومني من الحيف بما منى به ، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما
دخل عليه فيه ، فقد سبقت الى نفوسهم اعتقادات فاسدة ، وظنون
ردیئة ، وركبهم فيه جهل عظيم ، وخطأ فاحش .. من كلمة للشيخ
عبدالقاهر الجرجاني في صدر كتابه « دلائل الاعجاز » .

يفهم ان علم البيان كان معروفا بهذا الاسم من قبل ان يضم
عبدالقاهر فيه كتابه هذا ، وان للناس في هذا العلم مقالات دائرة بين
الاستقامة والعوج .

وقال ابو هلال بن عبدالله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في مقدمة
كتابه « الصنائع » : ان احق العلوم بالتعلم واولاها بالتحفظ - بعد
المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة ... وقد علمنا ان
الانسان اذا اغفل علم البلاغة ، واخذ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه

بإيجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، فينبغي من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم ... ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة .. اهـ وبعد ان ذكر جملة من اقاويل علماء العربية ، وأبان ما فيها من الزيف والحطة قال : « فلما رأيت تخطيط هؤلاء الاعلام في ما رأوه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبيل ، وجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان اكبرها واشهرها كتاب « البيان والتبيين » لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ » .

اذا علمت هذا ثم رجعت البصر الى كتاب الصناعتين نفسه وما يحتويه من الابواب ، ثم رجعت الى كتاب « البيان والتبيين » وما يشتمل عليه من المباحث يتبين لك ان ما يعنيه القوم من علم البلاغة غير ما نعلمه نحن اليوم منه ، فانهم كانوا يريدون به تلك المباحث التي تدور حول الخصائص التي ترفع قدر الكلام وتكسوه جمالا وجلالا ، مع بيان العيوب التي تحط من قدر القول وتكسبه قبحا وسخافة . وبعبارة اخص : المباحث الدائرة حول حسنات القول وعيوبه ، وكانت تلك المباحث مفرقة في مطاوي ابحاث كثيرة ليست من اصل الموضوع في شيء ، منبهة هنا وهناك غير وافية بالمرام .

واول مَنْ لَمْ من هذه المباحث شعها ، وجمع شتاتها ، ولائم بين
 شواردها ، ورَصَّ من قواعدها ، وقَرَّبَ من فوائدها ، واخرج
 للناس منها علماً بالمعنى الصحيح المراد من العلم هو الامام عبد القاهر
 الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ هـ فانه كتب فيها كتابين جليلين اسمي احدهما
 « اسرار البلاغة » والثاني « دلائل الاعجاز » بحث في الأول عن
 الوجوه التي تكسب القول شرفاً وتكسوه جلالاً ، من حيث اشتماله
 على استمارة مستحسنة ، او كناية لطيفة ، او تمثيل بليغ ، او تشبيه
 طريف ... الخ . فالاول ينتظم مباحث علم البيان بالمعنى المعروف اليوم .
 والثاني ينتظم مباحث علم المعاني كذلك ، ولم بشر الشيخ الى هذه
 التسمية لانه لم يكن يرى ان هناك علمين متميزين احدهما يسمى علم
 البيان والآخر علم المعاني ، وكل ما كان يراه ان هناك علماً واحداً غاية
 الخائض في غماره ان يستثير الاسرار التي ترفع من قدر الكلام ،
 وتمنحه رتبة الشرف ، وتحله ذروة البلاغة ، وبتتبع تلك الخواص والمزايا
 التي يتمتع بها القول البليغ فيبرزها للانظار سافرة من غير ما حجاب ...
 واول من شطر هذه المباحث شطرين فسمى مباحث النظم - علم
 المعاني - ومباحث المجاز والتشبيه والكناية - علم البيان - ابو يعقوب
 يوسف بن ابى بكر السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ . وهو الذي تناول
 هذا العلم من بعد الجرجاني فهذب مسائله ، ورتب ابوابه ، واودعه
 كتابه الموسوم بـ « مفتاح العلوم » .

ولا يذهب بك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته الى ان السكاكي اول من وضع هذا العلم لان عبارة ابن خلدون لا تفيد هذا المعنى وانما تفيد ان السكاكي اول من هذب هذا العلم ومخض زبدته ، وبوبه التبويب الذي شاع بين العلماء والمتعلمين من بعده .

وقد اودع الامام ابو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ كتابه « السكشاف عن اسرار التنزيل » من افانين البيان ما بهر العقول ، وخب الالباب ، ولكن لما كانت تلك المباحث منبثة في مطاوي التفسير غير مقصودة لذاتها وانما المقصود بها الكشف عن اسرار بلاغة الكتاب العزيز لم يشتهر الزمخشري بين علماء البيان اشتهار الشيخين الجرجاني والسكاكي . وبعد ان اخرج للناس كتاب « مفتاح العلوم » وقد تميزت فيه المباحث التي يعرف بها كينية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي مباحث النظم في مصطلح عبد القاهر - عن مباحث المجاز والكناية والتشبيه ، واطلق على المباحث الاولى اسم « علم المعاني » وعلى الثانية « علم البيان » . اقبل الناس على هذا الكتاب يتدارسونه ويتنافسون في اقتنائه والانتفاع به .

وقد اف ابن مالك الطائي - صاحب الالفة - من بعد السكاكي كتابا سماه : « المصباح في علوم البلاغة » لم يحظ بشيء من الشهرة التي حظى بها المفتاح ، وقد طبع .

ثم جاء الامام محمد بن عبد الرحمن القزويني المعروف بالخطيب
المتوفى سنة ٧٢٩ هـ فلخص القسم الثالث من المفتاح وهو قسم المعاني
والبيان والبديع ، وسماه « تلخيص المفتاح » ضمنه ما في هذا القسم من
القواعد ، وجمله مشتملا على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد ، وبذل
جهده في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبه ترتيباً اقرب تناولاً من اصله ، ولهذا
اقبل الناس عليه اقبالا عظيماً ، ونال من الشهرة ما لم ينله كتاب غيره في
بابه ، فتناولته اقلام كبار العلماء بالشروح والحواشي والتعليق ، حتى
اصبح ما كتب عليه يعد بالعشرات ، واشهرها شرح سعد الدين مسعود
بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ الذي اسماه « المطول » وهو اشهر
من نار على علم ، واليه انتهى عند المشتغلين بالمرية من علماء الدين ولا
سيما الاعاجم منهم ، وقد اختصره بكتاب مشهور ايضا اليوم بين
المحصلين ومن شروح التلخيص المشهورة « عروس الافراح » للشيخ
بهاء الدين السبكي ، والاطول للشيخ عصام الدين ..

وقد طبعت لهذا المهد مجموعة في خمسة مجلدات كبار تحتوي على
طائفة من شروح التلخيص ، وعلى كتاب الايضاح للخطيب القزويني
ايضا ، وهو مرتب على ترتيب التلخيص ولكنه اوسع منه فهو كالشرح
له ، وقد كان يناصر الخطيب القزويني السيد يحيى بن حمزة العلوي احد
امراء المؤمنين الجبائين « توفي سنة ٧٤٩ هـ » فالف في هذا الشأن كتابا

جايلا اسماء « الطراز المنضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز »
رتبه على ثلاثة فنون ، جعل الفن الاول للمقدمات ورسم الثاني للمباحث
المتعلقة بعلوم المعاني والبيان والبديع ، وافرد الثالث لبيان فصاحة القرآن
واسرار الاعجاز وقال : « ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو ان
جاءة من الاخوان شرعوا علي في قراءة كتاب الكشاف تفسير
الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري ... فسألني
بعضهم ان املي فيه كتابا ... الخ . »

وقال : انه لم يطالع من الدواوين المختلفة في هذا الشأن الا كتابا
يسيرة ، وانه لم يقف على كتابي الجرجاني « دلائل الاعجاز واسرار
البلاغة » مع شدة شغفه بحجها ، واعجابه بها .. الخ .

ولكن هذا الكتاب لم ينل من الشهرة ما ناله المفتاح وتلخيصه ،
وما كتب عليهما من الشروح والحواشي والتعليق ..

وجاء الجلال السيوطي المنوفي سنة ٩١١ هـ فكتب في هذا الشأن
عدة كتب اشهرها منظومته المسماة « عقود الجمان في المعاني والبيان »
وشرحها .

والمتتبع لحركة هذا العلم يجد انه لم يتقدم من بعد السكاكي تقدما
ذا شأن . وكل ما فعله الخطيب القزويني ، ان هذب ما جاء به السكاكي
وبوبه تبويبا يسهل تناوله على المتعاطين ، وقرب مسائله تقريبا كان
السبب في اقبال الناس على كتابه ، والاعتماد عليه .

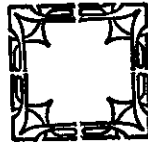
وكان العلماء من قبل السكاكي ، ينظرون الى هذا العلم بنظر اوسع
وكانوا لا يرون حصره في الدائرة التي حصروه فيها والابواب التي
قصروها عليه ، فكانوا يرون انه شامل لكل ما يبحث فيه عن خواص
الكلام التي ترفع من قدره والاسرار التي تكسبه نبلا ، وهذه الاسرار
وتلك الخصائص اكثر من ان تتسع لها الابواب التي اختطها لها
السكاكي والقزويني ومن مشى على اقدامهما .

فالفتحاح وتلخيصه والايضاح وان كانت احسن من غيرها من
حيث التبويب الفني ، والتنسيق العلمي من الوجهة النظرية ، الا ان ما
كتبه عبدالقاهر الجرجاني ومن اقتفى اثره من العلماء اقوى اثرآ في
تقويم الالسنه ، وتنقيف الافلام من الوجهة العلمية ، فالنوع الاول
يتخرج به علماء في فنون البلاغة ، والثاني يتخرج به بلغاء حقا ..

وقد ثبت بال تجربه ان معظم اؤلئك الذين يعتمدون في تحصيلهم
على التلخيص وشروحه وحواشيه وما الى ذلك ، يتعسر على احدهم ان لم
يقبل يتعذر ان يكتب رسالة صحيحة فضلا عن ان تكون بايعة ، وقد
بلغنا لهذا العهد ان شيخنا من مشيخة هذا الشأن اكب على تدريس
الطول ومختصره وحواشيهما وحواشي حواشيهما ، اربعين سنة ونيها ثم
شهد حفلا فطلب اليه الوالي ان يفوه بشيء من الدعاء ، فما استطاع ان
يلأثم بين عبارتين او بزواج بين كلمتين صحيحتين فضلا عن كونهما
فصيحيتين ..

وامثال هذا الشيخ البكيء من المتخرجين بمدرسة القزويني ليس
بالعدد القليل ..

ولما ظهرت طلائع النهضة الادبية في مصر ، ولاحت تباشير
الاصلاح العلمي هناك ، وانشئت جمعية احياء العلوم العربية ، كان على
رأسها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فرأى ما عليه كتب التأخرين
من الجذب والمجود ، فرجع ببصره الى آثار الاقدمين فوجد ان كتابي
عبدالقاهر الجرجاني من احسن ما اخرج للناس في موضوعهما فبادر الى
تدريسهما في الجامع الازهر فانتظم في حلقته اذ ذاك جماعة كبيرة من
نهباء الطلاب ، وانظم اليهم طائفة من اهل العلم والفضل ، فكان لهذا
العمل اثره الخالد ، فقد تخرج بهذه الحلقة فئة ضربت في البلاغة بأيمن
سهم واوفر نصيب ، تزينت بها صدور المحافل ، ورؤوس المنابر ،
وحلقات المدارس ، ولها الفضل الاوفر في رفع منار الآداب ، وتأيد
دولة الاقلام في عصرنا هذا ..



البديع

أول من ابدع هذا الاسم لهذا العلم عبدالله بن المعتز ، وهو أول من دونه ولائم بين شتات مسائله ، فقد قال في صدر كتابه الذي ألفه فيه : « وما جمع قبلي فنون البديع احد ، ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ، وألفته في سنة اربع وسبعين ومائتين ، فمن احب ان يقتدى بنا ، ويقتصر على هذا فليفعل ، ومن اضاف من هذه المحاسن او غيرها شيئاً الى البديع ، وارثاً غير رأينا فله اختياره ... »

وكان جملة ما جمعه من انواع البديع سبعة عشر نوعاً ، وكان ممن يعاصره قدامة بن جعفر الكاتب ، وقد جمع كتاباً في البديع ضمنه عشرين نوعاً ، توارد مع ابن المعتز على سبعة انواع وبقي له ثلاثة عشر ، فكان مجموع ما جاؤا به ثلاثين نوعاً . وجمع ابو هلال العسكري في كتاب الصناعاتين سبعة وثلاثين نوعاً . وجمع ابن رشيق القيرواني مثلاً في عمدته ، وجمع شرف الدين التيفاشي سبعين نوعاً ، واوصلها زكي الدين بن ابي الاصبع في كتاب التحرير الى التسعين . والظاهر ان اقدام المؤلفين ازدحمت حول هذا العلم منذ كان في المهد ، فقد ذكر ابن ابي الاصبع انه لم يؤلف كتابه المذكور الا بعد ان وقف على اربعين كتاباً في هذا العلم او بعضها ..

ثم جاء صفي الدين الحلي المتوفي سنة ٧٥٠ هـ فنظم بديعيته الدائمة الصيت في مائة وخمسة واربعين بيتاً اشتملت على مائة وواحد وخمسين نوعاً ، وقد جعل كل بيت منها مثلاً لنوع ، وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة ، والمعتمد منها ما اسس عليه البيت .

وقد اقتصر الصفي الحلي على نظم ما جمعه من الانواع ، واغفل ما اخترعه هو نفسه منها ، وقد شرح بديعيته هذه شرحاً مفيداً .

وكان يعاصر الشيخ صفي الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الهواري الاندلسي ، فنظم بديعيته على وزن بديعية الحلي وروىها تعرف بـ «بديعية العميان» ، لان ناظمها كان مكفوف البصر ، ولا يعلم ايها السابق الى النظم على هذا الغرار وان كان الحلي قد استوفى من الانواع ما لم يستوفه الاندلسي .

والذي نطنه ان الذي نبه الرجلين الى سلوك هذا المنهج انما هو الشيخ شرف الدين ابو صيري المتوفي سنة ٦٩٥ هـ في قصيدته المشهورة المعروفة بالبردة او البرأة ، فانها من ابلغ ما كتب في مدح النبي (ﷺ) ، وقد اشتمت من البديع على معظم انواعه ، وان لم يعتمد ناظمها ما عمده الحلي والانديسي من بعده من التزام استقصاء الانواع البديعية ، وقد اشتهرت هذه القصيدة في زمن ناظمها شهراً طارت على اجنحته شرقاً وغرباً ، وبما يزيد ظننا ترجيحاً ان بديعتي الرجلين جاءتا متفتتين مع

بردة البوصيري وزنا ورويا، وغرضنا . فان القصائد الثلاثة في مدح النبي (ﷺ) والبوصيري اسبق الثلاثة الى هذا الغرض بل هو ابن بجدته وزعيم جماعته ، والحلي ومعاصره الاندلسي ليدسا المجليين في هذه الحلبة ، وهي نظم انواع البديع بهذا الاسلوب البديع فقد سبتهما الشيخ امين الدين علي بن عثمان السليمانى الاربلي المتوفي سنة ٦٧٠ هـ في لاميته التي مطالها :

بعض هذا الدلال والادلال حال بالهجر والتجنب حالى
فانه ضمن كل بيت منها نوعا من انواع البديع او اكثر .
ثم جاء قوم ارادوا ان يأتوا بما لم تستطعه الاوائل ، فنظموا بديعيات
الزموا في كل بيت منها التورية باسم النوع الذي اسس عليه البيت فاذا
نظم احدهم في حسن الابتداء ، وبراعة الاستهلال مثلا يقول :

لي في ابتدا مدحك يا عرب ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم
واذا جاء حسن التخلص قل :

ومن غدا قسمه التشبيب في غزل
حسن التخلص بالمختار من قسمي
وقد اوقع هذا الانزام ذويه في ورطة التعقيد والانحراف عن
المنهج السوى للافصاح عما في الضمير ..

و اول من التزام هذا في بديعته الشيخ عز الدين الموصلي في بديعته
التي مطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم
وتلاه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧ هـ في
بديعته التي كتب عليها شرحه المروف « بخزانة الادب » ثم تلاها
صدر الدين بن معصوم الحسيني المدي المتوفي سنة ١١٠٤ هـ في بديعته
التي مطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة العلم له براعة شوق يستهل دمي
وبديعته هذه من اجود ما نظم من البديعيات التي ألزم فيها
اصحابها التورية باسم النوع الذي يؤسس عليه البيت ، ولقد كتب عليها
شرحاً موسعاً اسماء « انوار الربيع في علم البديع » وهو احسن كتاب
جامع في هذا الباب ، بل هو مجموعة ادب ثمينة عزيزة النظير ..

واغرب بديعية وقع عليها نظري بديعية للخوري ارسانيوس
الفاخوري يمدح بها المسيح عليه السلام والحواريين ، ومع افلاس صاحبها
في هذه الصناعة ألزم التورية بالنوع ، فجاءت ثلث سقما ، وتتاب
انحلالاً وضمناً ، وهالك نموذجاً منها :

براعة المدح في نجم ضياه سمي
تهدى بمطلعها من عن سناه عمي

فلم اطابق على بعد الاحبة لي اني اطابق في قربي لخدمهم
وهكذا تسمع ما شئت من سخر وهذيان، نسأل الله العافية ..
هذا ومن الواضح ان علم البديع يعتبر من ملحقات علمي المعاني
والبيان او من متمانهما حتى ان بعضهم يطلق اسم البديع على هذه العلوم
الثلاثة كلها .. ولهذا نجد علماء البلاغة لا يخلون كتبهم من ذكر طائفة
من انواعه كما فعل الشيخ عبدالقاهر في كتابيه فانك لنجد جملة من هذه
الانواع منبثة في مطاوي ذنبك الكتابين . وكذلك فعل السكاكي فانه
الحق بعلمي المعاني والبيان جملة سالحة من انواع البديع ، وتبعه الخطيب
القزويني في ذلك ، وبالجملة فانك قلما تجد كتابا في المعاني والبيان الا
وهو مذيّل بطائفة من انواع البديع ، ونحن نذكر في صدر هذا البحث
الكتب التي الفت في علم البديع على سبيل الاستدلال .

ولا نختتم هذا الفصل قبل ان نذكر ان ما اولع به المتأخرون بما
سموه بديما ، قد خرج بهم الى عبادة الالفاظ والكفر بالمعاني ، فاهم
نصروا الالفاظ نصراً مؤزراً ، وجعلوا لها سلطاناً ايماسطان . وخذلوا
المعاني ايماخذلان كل ذلك مراعاة لما سموه بديما ، وان الانسان ليحار
من هذا التصرف الشائن ، يتعلقون بذنابي هذا العلم وهم عن الافصاح
الساذج قاصرون ، ويريدون ان يمتطوا صهوة هذا الشمس ، وهم عن
ركوب الذلول العفيف عاجزون ..

ولو كنا في صدد تحرير هذا المعنى لأتيناك بالاجاب من الامثلة
 المضحكة المبكية في هذا الباب ، واسكننا في موقف المؤرخ فاعلنا الا
 ان نطوي هذه الصحيفة ونأخذ بمنان اليراعة مبتهلين اليه تعالى ان يحمل
 عاقبة امرنا خيراً...



تأريخ الخط العربي

نمبرات

موقع الخط ما قبل التأريخ

للموجودات التي تقع تحت الحس صور كثيرة ترجع في مجموعها
الى أربع :

الصورة الأولى عيانية ، والثانية ذهنية ، والثالثة لسانية ، والرابعة
خطية . مثال ذلك أنك ترى القلم عياناً . ثم تتخيل صورته في ذهنك ،
ثم تضع لفظاً يدل على الصورة الذهنية وهو كلمة « قلم » ، ثم تضع
اشارات خطية مخصوصة تدل بها على ذلك اللفظ . فإذا رأيت حروف
« قلم » دلتك على اللفظ وهذا اللائ يدل على الصورة الذهنية لهذه
الأداة وتلك الصورة الذهنية . مثال لهذه الأداة المرئية .

والصورتان العيانية والذهنية لا يخاف فيهما بنو الانسان مهما
تعددت شعوبهم وقبائلهم . فالعربي مثلاً يرى الشيء كما يراه الأعجمي
ويتخيله كما يتخيله من غير ما فرق . أما الصورة الثالثة وهي اللسانية
فتختلف باختلاف الشعوب ، فيضع العربي مثلاً لفظاً للشيء ويضع
الأعجمي له لفظاً آخر ، وهذا هو سر اختلاف اللغات ، فالعربي يسمي

هذا الشيء الذي يدفع به المعاش « ماء » والفارسي يسميه « آب » والتركي يسميه « صو » وهذا غير مطرد فقد تشترك عدة شعوب بوضع لفظ واحد فالعربي يسمي أداة الكتابة « قلماً » مثلاً وكذلك يفعل التركي والفارسي .

وكذلك تختلف الصورة الرابعة وهي الخطية باختلاف اللغات ، فالعربي يصور اللفظ بصورة تختلف عن الصورة التي يصورها بها الفرنسي فإذا أراد العربي أن يدل على لفظ « كوب » صورّه كما ترى أما الفرنسي فيصوره هكذا « CUB » وهذا غير مطرد ايضاً فقد تتفق شعوب كثيرة على استعمال حروف واحدة في تصوير لغاتها كما يفعل العرب والفرس اليوم ، وكما يفعل الانكليز ومن يصاقبهم من شعوب أوروبا . وقد يكتب اللفظ العربي بالحرف اللاتيني كما يكتب اللفظ الفرنسي بالحرف العربي . ومنه يفهم أنه لا يلزم من اختلاف الخطوط اختلاف اللغات كما لا يلزم من اختلاف اللغات اختلاف الخطوط . ولا يخفى اننا نريد بالخط هذه النقوش والعلامات المسماة بالحروف الدالة على الألفاظ .

ما قبل التاريخ

أى على الانسان حين من الدهر لم يكن يعرف شيئاً يصور به الألفاظ التي كان يتفاهم بها . وقد كانت يتوقف التفاهم بين الانسان والانسان على المواجهة والمشافهة او توسط من يقوم بذلك . فإذا أراد

انسان أن يتفاهم مع آخر في بلدة أخرى فلما أن يقصده بنفسه ليواجهه ويشافهه . وأما ان يرسل من يقوم بهذه المهمة نيابة عنه .. وقد اصطلح المؤرخون على تسمية ذلك الطور بطور ما قبل التاريخ .

الخط الصوري

ثم اهتدى الانسان الى طريقة يستغني بها عن المواجهة والمشافهة احياناً وتلخص بتصوير الشيء أو الحادثة تصويراً ساذجاً . فاذا اراد مثلاً أن يخبر صديقه بأن قافلة وصلت المدينة ، يصور له المدينة تصويراً بسيطاً وكذلك بعض الحيوانات والبشر الذين تتألف منهم القافلة ، فاذا اراد أن يبين أن القافلة وصلت نهراً يصور الشمس مطلة على القافلة ، أو ليلاً يصور القمر مثلاً أو بعض الكواكب وقد اطلق بعض المؤرخين على هذه الطريقة اسم الخط الصوري .

أشهر الخطوط

غير الانسان على هذه الطريقة حيناً من الدهر ثم اخذت تتطور من حال الى حال حتى كثرت المصطلحات وتشعبت المسالك وأخذ كل جماعة من البشر يتواطؤون فيما بينهم على علامات ونقوش يرمزون بها الى مرادهم ويمكن رد تلك المسالك الى اربعة اصول :

١ - السماري

٢ - الحيثي

٣ - الصبني

٤ - المصري

أما الأصل السامري فقد جرى عليه البابليون والآشوريون ومن
لف لفهم . وقد انقضى عهده منذ أمد بعيد بانقضاء عهد تلك الأمم .
وأما الأصل الحبشي فقد جرى عليه سكان الشام القدماء وقد رأى
بعض علماء المشرقيات أن الخط الحبشي والحميري وليد هذا الأصل
والجمهور على خلاف ذلك على ما ستري .

وأما الأصل الصبني فقد تفرع عنه الياباني والمغولي وما إليهما ولا
تزال آثاره ماثلة في الصين واليابان وما إليهما .

وأما الأصل المصري فأشهر فروعه الخط الفنبقي ومن هذا تفرع
معظم الخطوط المستعملة الآن في الشرق والغرب وفي جلها الخط
العربي ولهذا رأينا أن نتوسع بعض الشيء في الكلام على هذا الأصل .

الخط المصري

كان للقدماء من وادي النيل خط ابتدعوه يستعملونه في شؤونهم
الخاصة والعامة وكان يومئذ أقرب الخطوط العالمية الى السهولة لقلة عدد
صوره واختصار رموزه . وقد تشعب مع الزمن الى ثلاثة انواع :

١ - الهيروغليف

٢ - هيراطيق

٣ - ديموطيق

وكان النوع الأول خاصا برجال الدين وخدمة المعابد ، ومحرمًا على غيرهم فكانوا يكتبون به تعاليم ديانتهم ومأثور أدعيتهم وما الى ذلك مما يتماق بعبادتهم ومعابدهم وكبراء عبادهم ورؤساء نحلهم .
والثاني خاص برجال الدولة وعمالها .

والثالث خط الجمهور من ابناء الشعب يكتبون به في شؤونهم الخاصة والعامة في متاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

ومن الخط المصري تفرع الخط الفنيقي مع اصلاح كبير أدخله الفنيقيون عليه . وفي الحق ان للفنيقيين الفضل الأعظم في تسهيل هذه الصناعة على بني الانسان فانهم مع احتذائهم المصريين في تقليل عدد الحروف والانتفاع ببعض أشكالها - ابتدعوا طريقة واضحة سهلة كان لها الأثر الحسن في تسهيل هذه الصناعة على معظم الشعوب المتقدمة في ذلك العهد ولم يزل أثرها ماثلا في الشرق والغرب .

الطريقة الفنيقية

قال بعض المؤرخين : « كان الفنيقيون اكثر الناس اشتغالا بالتجارة ومخاطبة المصريين فتعلموا حروف كتابتهم ، ثم وضوا لانفسهم حروفا خالية من التعقيد لاستعمالها في المراسلات التجارية وقد اخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل ...

واضافوا اليها باقي الحروف فكونوا كتابة سهلة اشتهرت بواسطتهم في
آسية واوروبا ووضوا للحروف اسماء تشبه مسمياتهم الاصلية اشكال
الحروف ، اه .

ومعنى هذا انهم لخطوا مخرج كل حرف على حدته ثم عمدوا الى
لفظة مبدوءة بذلك الحرف فصوروا معناها أو جزءاً من ذلك المعنى
واعتبروا هذه الصورة رمزاً لذلك الحرف . مثال ذلك أنهم بعد أن
لخطوا مخرج المين من الحلق عمدوا الى لفظة تبدأ بذلك المخرج وهي
لفظة عين فصوروا معناها هكذا (ه) واعتبروا هذه الصورة دالة على
ذلك الحرف ايها حل . وكذلك فعلوا في سائر الخارج كما نراه واضحا
في الجدول الآتي : (ص ٥٩ من كتاب حفي ناصف)

واختراعهم هذا يعتبر من أجدى الاختراعات التي يعود لها
الفضل الأول في خدمة العقل الانساني وانهاض المعارف والعلوم .
وهذا من غير شك مفخرة من مفاخر العرب الأولين وقبس من نورهم
الذى اضاء السبل اني البشر حيننا من الدهر ولا يزال يضي .

فروع الخط الفنبى

تفرع من هذا الخط معظم الخطوط العالمية المعروفة لهذا المهد

وأشهر تلك الفروع :

١ - اليونانى

٢ - العبري

٣ - الآرامي

٤ - المسند

ومن اليوناني ونريد به - اليوناني القديم - تفرعت جميع الخطوط الأوربية المروفة لهذا العهد وكذلك تفرع منه الخط القبطي .

ومن العبري القديم تفرع الخط السامري (١)

ومن الآرامي تفرعت الخطوط الهندية والخط الفهلوي (٢) والعبري المربع والتدمري والسرياني والنبطي .

أما المسند فتد تفرع عنه الخط الحبشي والخطوط العربية المروفة لهذا العهد على ما ذهب اليه مؤرخوا العرب . قالوا : إن ثلاثة من قبيله (٣) طيء كانوا يسكنون الانبار ابتدعوا خطاً أسموه بذلك لانهم اقتطعوه من المسند والجزم هو القطع .

(١) نسبة الى سامرة نابلس .

(٢) الفارسية القديمة نسبة الى (فهلا) وهي البقعة التي فيها همدان واصفهان واذريجان والري وماء لاوند .

(٣) هم مراصر بن مرة واسلم بن سدره وعامر بن جدره .

تعريف ببعض الاعلام
المرأة الواردة في الكتاب

الخليل بن أحمد

إذا افتخرت الأمم بالأفذاذ من رجالها الذين رفعوا مشعل العلم
عالياً فأناروا للعقول مناهجها ، وضاعفوا لذاتها ومباهجها ، حق للعرب أن
يكونوا المجلين في هذه الحلبة ولهم من تاريخ المعارف الانسانية شواهد
خوالد تسطع انوارها ، وتتجدد على الزمن آثارها فنأربخ النجاج العقلي
يفيض بما للعقل العربي من خصب في الانجاج ، وبراعة في الاختراع ،
ودقة في الابداع ، وسعة في التحقيق ، وانعام في التدقيق مع صدق في
القول ، وامانة متناهية في النقل .

ومن بين اولئك الافذاذ الذين أقاموا للعلم مناره ورفعوا الواهد في
سما الرافدين الخليل بن احمد البصري .

نسب الخليل

من أشهر قبائل اليمن قبيلة الأزد التي منها غسان ، والأوس
والخزرج اللتان عرقا بعد الاسلام بالأنصار . ومن بطون هذه القبيلة
الغرايد ، وكان الكثير من اخاذها يقطن عمان والبصرة . وقد أنجبت
عدداً كبيراً من المشاهير كان في الطائفة منهم المترجم وهو : أبو عبد الرحمن
الخليل بن احمد بن عمر بن نعيم البصري الغرايدي اليحمدي
وبعضهم يقول القرهودي . قال الأصمعي : سألت الخليل بن أحمد عن

هو؟ فقال : من أد عمان من فراهيد . قلت وما فراهيد ؟ قال : جرو
الأسد بلغة عمان. ا هـ

مولده ونشأته

ولد الخليل في البصرة حوالي سنة ١٠٠ هـ ونشأ بها ، وترعرع فيها
وهي يومئذ مهد العربية ومطامع اقطارها ، وينبوع فياض بالمعارف ولا
سيما الأدبية منها ، فشب بين مربدها الذي أصبح عكاظ العرب بمد
الاسلام ، وحلقات ادبائها الذين كانوا مصابيح الدجى ونجوم الهدى ،
فاقتطف من ازاهير المعارف ما شاء أن يقتطف ، واجتنى من يانع ثمارها
ما راق منظره وطاب مخبره ، وبرز على اقرانه بما تبريز ، ومن أشهر
منايخه في الادب أبو عمرو بن الملاء . ولما آانس من نفسه الكفاية
رأى أن أخذ العربية عن الحضريين من العلماء والمترددين الى الحواضر
من الأعراب الذين لانت سلاقتهم وصنفت طباعهم لا يوصل الى
اليقين ولا يهدي الى مهيع الصواب ، وعلم أن التبحر في هذا الشأن لا
يتيسر الا بمشاهدة الأعراب الخالص الذين توقعت سلاقتهم ، وصنفت
عربيتهم ، ومعايشتهم في ديارهم ، فشدد الرحال ، وضرب في كبد
الجزيرة ، وطفق يفلي ناصية القلاة ويتنقل في الاحياء التي حلت في سرة
البادية ، ولم يكدر صفاء لغتها مخالطة حمراء الأثم وصفرائها كقيس
وتميم وأسد وغيرهم ممن خلعت عربيتهم ، فكان يلتقط ما يثر عليه من

درر كلامهم وفرائد خطبهم ونوادر اخبارهم ، وعبون اشعارهم ، وجليل
آثارهم ، فما عاد الى وكره حتى وعى في حافظته ادباً غنياً وعلماً جماً ، كما
اوقر راحلته رقاقا وطروسا ومهراق حشد فيها شوارد النثر وفرائد النظم
فكانت تلك المنقولات عـدته في استخراج المسائل وبناء القواعد ،
وتبويب اللغة ، وتصحيح القياس والاكثر من الشواهد والتوسع في
ابداء البراهين .

عقده

كان الخليل آية من الآيات في الذكاء ودقة التصور ، وتوقد الفطنة
وصدق الحدس ، وسعة الحافظة ، وقوة الذاكرة ، ورجاحة العقل ، حتى
كانوا يقولون : « لا يجوز على الصراط أحد بعد الانبياء ادق ذهنًا
من الخليل » ولا حاجة بنا الى برهان انصح من هذه المبتكرات التي
اخرجها للناس كما سيمر بك بعد . وقد نقل اهل العلم عنه حكايات
في هذا الشأن تتجاوز حد التصديق لولا ثقة روايتها وتكاثر نقلها . من
ذلك انه جاءته رسالة عربية مكتوبة بالحرف السرياني فقرأها وهو لا
يعرف شيئاً عن الحرف السرياني ، ولكنه استعان بما عرف انها تصدر
عادة بالسملة والممدلة ونحوها .

قال الرواة: اجتمع الخليل وعبدالله بن المقفع ليلة يتحدثان الى الغداة
فلما تفرقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال رأيت رجلاً علمه
اكثر من عقله وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ . فقال : رأيت

رجلا عقله أكثر من علمه . وقال حمزة بن حسن الأصفهاني :

« إن دولة الاسلام لم تخرج أبدع للمعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب اصول من الخليل . وليس على ذلك برهان اوضح من علم العروض ، لا عن حكم أخذه ولا على مثال تقدمه احتذاه . فلو كانت ايامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعت ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن تأسيس بناء كتاب المين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة ، ثم من امداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام . »

مبتكراته

لقد أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها واخترع علوما اعجزت المتقدمين كما بهرت المتأخرين ، فلا عجب اذا سميناه « شيخ المبتكرين من العرب » .

(علم العروض) : لو لم يكن للخليل من المبدعات إلا هذا العلم لسكناه منقبة ، فانه - لعمرى - أبدع في تنسيق قواعده وضبط ابوابه ، كما بهر الالباب باختراعه . فقد حصر اقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر مجزاً على كيفية ادهشت الفطن ، وحيرت الأفتدة . ونحن ندلم أن كل مبتكر يمتريه في بادىء الأمر الاضطراب ، ويحف

بالنواقص ، فلا تستقيم قنانه ، ويلبس الحلة التي تليق به الا بعد أن
تختلف المقول على صقله وتثقيف أوده حيناً من الدهر ، سنة الله في
خلقه . ولكننا رأينا علم الخليل بلغ الرشد يوم ولادته فلم يستدرك عليه
من جاء بعده بابا اهمله ، أو قاعدة أخل بها ، أو فصلاً ذهل عنه ، أو
اصطلاحاً غيره خير منه - إلا ما كان من امر البحر الذي زاده تلميذه
الاخفش وسماه « الخبب » ولا يعسر رد هذا البحر الى واحد من
بحور الخليل .

(الشكل) : كان الخط في صدر الاسلام خلواً من الشكل
والاعجام ، فوضع أبو الاسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩ هـ علامات
للحركات الثلاث ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة
تحتة ، والضمة بين يديه ، وجعل التنوين نقطتين ، كل ذلك بعد ادخاخ
مداد الحرف . فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج
نقط الاعجام اضطرب الامر واشتبه الاعجام بالشكل فتصدى الخليل
لإزالة هذا اللبس فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم ، وبني ذلك
على مقاييس مضبوطة ، وعال دققة ، بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة
مضبوطة فوق الحرف ، والكسرة رأس ياء صغيرة تحتة ، والضمة
واواً صغيرة فوقه ، فإذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف
الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحتة ذلك لأن الفتحة

جزء من الالف ، والكسرة جزء من الياء والضممة جزء من الواو، ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط « ش » ، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الارقام العربية القديمة ، وذلك لأن الحرف الساكن خلو من الحركة ، ووضع للهزة رأس عين « ه » لقرب الهزة من العين في المخرج . هكذا قالوا . والذي أراه أن هذه الشكالة إنما هي الميم المتوسطة في لفظ « همزة » لأنك اذا كتبت هذا اللفظ وحذفت الهاء من اوله والزاي والتاء من آخره ظهرت هذه الشكالة واضحة . ووضع لألف الوصل رأس صاد هكذا « ص » ، ووضع فوق ألف الوصل ميمها كانت الحركة فيها ، وللمد الواجب ميمها صغيرة مع جزء من الدال هكذا « د » فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات : الفتحة والكسرة والضممة والسكون والشدة والهزة والصلة والمدة ، كلها حروف صغيرة او ايماض حروف بينها وبين ما دلت عليه أجلى مناسبة واوضح صلة ، بخلاف علامات ابى الاسود واتباعه فلها مجرد اصطلاح لم يبين على مناسبة بين الدال والمدلول . وألف الخليل في هذا الموضوع كتابا نفيسا فلم يزد أحد على طريقته هذه شيئا ولا اصاح منها رأيا فكأنه ابتدأها وبه ختمت .

(الموسيقا) : لم يكن الخليل يعرف لغة اجنبية وليس فيه ميل

الى اللهو والقصف ولا كنا رأينا ألف كتابا في الموسيقا جمع فيه اصناف النغم وحصر انواع اللحن ، وحدد ذلك كله وخلصه وذكر مبالغ

اقسامه ونهايات اعداده فصار الكتاب آية في بابه . ولما وضع اسحق ابن ابراهيم الموصلي كتابه في النغم واللحون عرضه على ابراهيم بن المهدي فقال له : احببت ... فقال اسحق : بل احسن الخليل لأنه جعل السبيل الى الاحسان فقال لبعض اهل العلم : إن مهارة الخليل في علم الالمان هي التي اعانته على ابداع علم العروض .

كتاب سيديويه من ومي الخليل

الخليل أول من فتن معاني النحو وضبط اصوله ، وبسط فروعه ، واستخرج علله واسبابه ، ووسع فصوله وابوابه ، واوضح سبيله ، وعبد مناهجه حتى بلغ اقصى غايته ، ولا يمكنه ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل كثير وراده فأوحى الى تلميذه وخريجيه « سيديويه » من دقائق مسائله وبنات افكاره وابكار تصوراته ما جعله حرياً بأن يشار اليه بالبنان ، وجديراً بوضع كتابه المشهور الذي اصبح للنحاة اماماً يقتدون به ويهتدون بهديه ، فمعظم ما في الكتاب من متعرف من سلسال علم الخليل ، ومقتبس من مصباح ذكائه . وكما قال سيديويه : « سأله » أو « قال » من غير أن يذكر احداً فانه يعني « الخليل » .

كتاب العين أو « أبو المعاصم كلها »

علمنا ان الخليل قد طالت صحبته خلص الأعراب وكثرت اقامته بين ظهرائهم ، ثم انه كان يحج بين العام والعام ، وكان يتأبل في طريقه

الى مكة فصحاء العرب واقطاب بلغائهم فاجتمع لديه كثير من مفردات اللغة وفرائد دررها ، فمزج على جمع ذلك في كتاب لم يسبق الى مثله ، فرسم الخطا ورتب الابواب على طريقة ابتدعها ، واسلوب لم يسبق اليه ، وكان قد افتحه بحرف العين فسماه « كتاب العين » على عادة الكتاب في ذلك العصر ، فاهم يسمون الكتاب بأول ابوابه ككتاب الجيم وكتاب الميم وكتاب الغين وكتاب الحماة وغيرها . وهذا الكتاب اول كتاب ألف في متن اللغة مرتبا على الحروف جمع فيه الخليل ١٢٤٠هـ ١٢٣٠هـ كلمة بمضها مستعمل واكثرها مهمل . والذي حدا به لذكر المهمل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة ، فمثلا كلمة « كتب » يحتمل في السكاف الفتح والضم والكسر ويحتمل في التاء الحركات الثلاث والسكون وثلاث في اربع اثنتا عشرة صورة فيذكر الاثنتي عشرة صورة ويقول هذه الصورة مستعملة لمبنى كذا ، وهذه الصورة لم تستعملها العرب ، وقد جمع الخليل في كتابه هذا من غرر الشواهد ، ونوادير القوائد ، وضروب الحصر ، ورصين القواعد ، وجليل المسائل ما يمز وجوده في معجم غيره . على أنه تضاربت آراء العلماء في نسبة هذا الكتاب الى الخليل او الى بعض تلاميذه او الى الليث . وقد ألف ابن درستويه كتابا خاصا في شرح هذا الخلاف واستقصى الجلال السيوطي في المزهري جميع ما دار في هذا الموضوع من افوال . ولكن

نحن لا نرتاب في أن الخليل هو الذي رسم خطط هذا الكتاب ورتب
 ابوابه ووضع حجب الزاوية بيده ، اما أن غيره اكمله وزاد فيه فذلك
 أمر محتمل ، ولكنه لا يدفع الخليل عن كونه المجلي في هذه الحيلة
 وأنه اول واضع للمعجم اللغة مرتبة على حروف المعجم ، وأن من جاء
 من بعده انما اقتبس من مصباحه واهتدى بمناره . ولم يزل جمهور
 الادباء وارباب البحث لهذا العهد يظنون أن هذا المعجم الخليل اغتالته
 ايدي الايام فيما اغتالت من نوائس الاسفار ، وجليل الآثار ، ولكن
 من بين الطالع أن عثر على نسخ منه أحد ادباء الحاضرة الهاشمية ، فسمى
 البعثة المشهور صاحب (لغة العرب) بمقابلة تلك النسخ وتصحيحها
 باذلا الجهد في تحري الصواب على عادته ، ثم شرع في طبعه ولكن
 بعد أن أنجز منه بضع كراريس حالت الحال ، وعرضت دون ذلك
 احوال . ولا ندري هل بقي الملك النسخ من أثر بعد ان تفرقت كتب
 الرجل ايدي سبأ ومزقت كل ممزق ؟ .. جرى كل ذلك قبل نحو بضع
 وعشرين سنة .

وقد سلك الخليل في ترتيب حروف الهجاء مسلكا لم يسبق اليه ،
 ذلك أنه رتبها حسب الخارج مع تغيير طفيف لجاءت على هذا الوجه :
 ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ
 ث ر ل ن ف ب م و أ ي .

قال الخليل : لم ابدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ،
ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل إلا
زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت الى
الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت انصم الحرفين فابتدأت بها ليكون
احسن في التأليف . ا هـ

هل كان الخليل يقرصه الشعر

قالوا : كان ينظم البيتين والثلاثة كما سيأتي : وروى الالباني انه
سئل لماذا لا تعرض الشعر مع سعة علمك بالعربية وتبجرك في علومها ؟
قال : « يا باني جيده وآبي رديشه » وهذا الجواب على ابجازه غاية في
البلاغة وآية في الحكمة وحصافة الرأي .

مؤلفاته

للخليل مؤلفات ابداع فيها اما ابداع ولم يحتد في تأليفها وتبويبها
حذو من سبقه من اهل العلم . والذي يجيل النظر في سيرة هذا الرجل
يتبين له أنه كان يربأ عن سلوك المناهج المعبدة في كل ما يكتب
وبصنف ، ولذلك كان يسلك في التأليف طرقا خاصة يؤم فيها الناس ولا
يأتهم بأحد فن تصانيفه :

١ — كتاب العين . وقد مر بك بعض اوصافه .

٢ — فائت العين .

٣ - كتاب الايقاع . وهو في الموسيقى العربية ويظهر من مراجعة فهارس المؤلفات في هذا الباب ان الخليل يعتبر مجلي الحلبة في هذا المضمار .

٤ - كتاب النغم . وهو في الموسيقى العربية .

٥ - كتاب الجمل .

٦ - كتاب الشواهد .

٧ - كتاب العروض .

٨ - النقط والشكل وقد أشرنا اليه آنفا . وذكر الماضل جورجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ما نصه : « في المكاتب الكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

١ - كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين .

٢ - كتاب شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه .

٣ - كتاب جملة آلات العرب في مكتبته أيا صوفيا في الاستانة .

٤ - قطعة من كلام عن اصل العقل في مكتبة اكسفورد

(بودليان) ... »

زهرة وورع

كان الخليل من اولئك الفلاسفة الذين نظروا الى هذا العالم نظرة الازدراء ، ولم تخدعهم بهرجته ، ولا غرتهم زخارفه . أجل كان الخليل

أحد زهاد الدنيا المتبتلين الى الله تبتيلا . ومن انصم البراهين على ذلك
أن امير الاهواز « سليمان بن علي » ارسل اليه ياتمس منه الشخص
ليقيم بحضرته ويؤدب اولاده فأخرج الخليل للرسول خبزاً يابساً وقال ،
كلي فما عندي غيره . وما دمت أجدك فلا حاجة بي الى سليمان . فقال
الرسول : فاذا أبلغه ؟ فقال له :

أبلغ سليمان اني عنه في سعة وفي غني غير اني لست ذا مال
شعاً بنفسي اني لا ارى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نمره ومثل ذاك الغني في النفس لا المال
وكان سفيان بن عيينه يقول : من أحب أن ينظر الى رجل من
الذهب والمسك فليتنظر الى الخليل . وقال تلميذه النضر بن شميل : اقم
الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بملءه
الاموال الطائلة .

ومن اوابد حكمه :

وقبلك داوى المريض الطيب فمماش المريض ومات الطيب
فكن مستمداً لدار الفنا ، فان الذي هو آت قريب
وبالجملة فقد كان الخليل احد حسنات هذه الامة وقرأ من
اقرارها ، ودره في تاج مفارها .

وفاته

اختلف المؤرخون في السنة التي انتقل فيها الخليل الى جوار ربه ،

فذهب جمهورهم الى انه توفي سنة ١٧٠ هـ . وقال آخرون سنة ١٧٥ هـ
وقال بعضهم سنة ١٦٠ هـ واغرب خطأ وقع في ذلك هو قول ابن
الجوزي في كتابه شذور العقود انه مات سنة ١٣٠ هـ وهو منقول عن
الواقدي . قال المحقق ابن خلكان : انه خطأ قطعاً والصواب ما
اثبتناه اولاً .

وكانت وفاته في البصرة مسقط رأسه فكانت البصرة مشرق هذا
الكوكب الوقاد ومنبره ، وقد ضمته تربتها الى من ضمت من اعلام
العلم واقار الفضل ونجوم الهدى رجال التقى الذين حلوا الآداب
بأنفس الحلى ، ونهضوا بالمارف الانسانية الى مراتب العلا ، فكانوا
للمعلم جالا ، وللتاريخ امة وجلالا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه
ولقاهم في دار رضوانه نحية وسلاما .



ابن الأنباري

هو أبو بكر محمد بن القاسم من أهل الأنبار ، كان أبوه محمد الأنباري من أهل الأخبار والنحو فنلقي العلم عنه وعن ثلمب ، وكان مضرب المثل بسرعة الخاطر ، وقوة الذاكرة ، وكان يملئ علمه من حفظه في ناحية من المسجد في بغداد ، ويقول أبو علي القالي عنه انه كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن الكريم ، وقيل له قد أكثر الناس في محفوظاتك ، فـ يحكم تحفظ ؟ فقال احفظ ثلاثة عشر صندوقا ، وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها . وكان لسمة علمه يطيل التأليف اذا كتب ، قالوا لانه كتب كتابه غريب الحديث في ٤٥٠٠ ورقة وشرح الكافي في ١٠٠٠ ورقة .

وقد انف في النحو واللغة والأدب والقرآن والحديث ، وتوفي سنة ٣٢٧ ، وقيل ٣٢٨ هـ . وله كتب كثيرة ومما وصلنا منها : كتاب الاضداد في النحو ، وكتاب الزاهر في معاني كلمات .

الناس ، وشرح المفضليات ، وكتاب الايضاح في الوقف والابتداء وكتاب الهاءات في كتاب الله .

ويعرف بابن الأنباري ايضا هـ أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، الملقب بكامل الدين النحوي ، وكان من الأئمة المشار اليهم

في علم النحو ، سكن بغداد من صباه وبقى بها الى ان توفي سنة ٥٥٧ هـ
قرأ النحو بالمدرسة النظامية ، ثم صار مدرسا بها ، وصنف كتاب
اسرار العربية في النحو ، وكتاب الميزان فيه ايضا وكتاب طبقات
الادباء ، وانقطع في آخر عمره للعبادة والعلم ، وترك الدنيا واهلها ومجالسها ،
وتى حميد السيرة حتى توفي ، وكانت ولادته عام ٥١٣ هـ

ابن جني

هو ابو الفتح عثمان بن جني ، ولد في الموصل حوالي عام ٥٣٠ هـ ،
كان ابوه مملوكا روميا لسايمان بن فهد الأزدي ، تنقل بين حاب
وفارس وعاش في بلاط سيف الدولة حينما ، وفي بلاط عضد الدولة حينما ،
درس على ابي علي الفارسي البصري وصحبه نحواً من اربعين عاما ، وبقى
معه حتى توفي ، تعرف على ابي الطيب المتني وعاش معه حينما في بلاط
سيف الدولة ، وتوثقت الصلة بينهما ، وقد شرح ديوان المتني شرحا
استفاد منه كل شراح الديوان بعده ، لأنه - اعشرته للمتني - عرف
الظروف والمناسبات التي احاطت شعره ، وكان ابو الطيب المتني يحله
ويقول : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » ولابن جني
اطلاع واسع في العربية ، فمن كتبه سر المعناة واسرار البلاغة في
الحركات واحرف العربية ، وله كتاب « الخصائص في علم اصول
العربية » على ان ابن جني قد شهر بالنحو واتخذ له نهجا وسطا بين مدرسة

الكوفة ومدرسة البصرة ، وكان ماهراً في التصريف ، ماهراً في
التعليل والقياس ، ويقول عنه البخارزي في دمية القصر : ليس لأحد
من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولا سيما في
علم الاعراب .

وله شعر ، على أنه شعر العلماء ، لا شعر للشعراء المطبوعين ، من
هذا ، قوله في أصالة الرومي :

فان اصبح بلا نسب	فلمني في الوري نسبي
على اني اؤول الى	قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا	(١) ارم الدهر ذو الخطب

ابن خالويه

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، همداني الأصل دخل بغداد
عام ٣١٤ هـ ، درس النحو والادب على ابن دريد وابن الانباري ونقطويه
وابي عمر الزاهد ، ودرس الحديث على محمد بن مخلد العطار ، وانتقل
الى الشام ، ثم اقام بحلب واتخذها وطناً له ، وتقرب من آل حمدان ، وقد
شهر بالنحو واتخذ له مذهباً وسطاً بين مدرستي الكوفة والبصرة
النحويتين ، وكان ذائع الصيت في التدريس ، وقد حظى عند سيف
الدولة الحمداني حتى اتخذه مؤدباً لأولاده ، وكان يقرض الشعر وله

مناظرات مع ابى الطيب المتنبى ، أنشد المتنبى قصيدته التي مطلعها :
 وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا ، والدمع اشفاه ساجه
 وهي اول قصيدة انشدها المتنبى لسيف الدولة ، وكان ابن خالويه
 حاضراً في مجلس سيف الدولة فقال للمتنبى ، تقول : أشجاء وهو شجاء
 فقال له المتنبى : « اسكت ، ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لا فعل »
 وللنحاة جدل طويل حول بيت ابى الطيب هذا . وابن خالويه ظن ان
 المتنبى يعني بأشجاء : من شجاء يشجوه شجواً ، وان الهاء في « أشجاء »
 مفعول به ، وابو الطيب تنى به أفعل التفضيل ، ويكون الهاء
 مضافاً اليه .

وتوفي ابن خالويه عام ٣٧٠ هـ ، ومن كتبه « كتاب ليس »
 و « رسالة في اعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز » و « شرح
 مقصورة ابن دريد » وينسب اليه « كتاب الشجر » و « كتاب العشرات »

ابن دريد

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، ولد في البصرة عام
 ٢٢٣ هـ ودرس على ابي حاتم السجستاني والرياشي والاشناداني ، وغيرهم ،
 وحدث مذبحة الزنج في البصرة فقر مع عمه الذي كان يقوم بتربيته -
 الى عمان واقام فيها اثني عشر عاماً ، ثم توجه الى جهات فارس واقام
 عند بني ميكال ، وهم يومئذ عملة فارس ، وكتب لهم كتابه « الجهرة في

علم اللفظة ، وهو كتاب غريب اتبع في ترتيبه ترتيب الخليل في كتابه العين ، بدأ بالثنائي ، ثم الثلاثي فالرباعي ، فملحق الرباعي فالخماسي والسادسي وملحقتهما ، وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد ، ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل ، وطريقة التفتيش فيه غير مألوقة عندنا ، فإنه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي اولها عين ، مثل « ع ل ن » ويأتي بعمانيها على اختلاف وضع احرفها فيقول : « ع ل ن الامر يملنه علنا .. واللعن : اصله الابداد .. والنعل : معروف ونعل الفرس : ما اصاب الارض من حافره » وقد سماه الجهرة لأنه اختار فيه جمهور كلام العرب .

وكما كتب الجهرة لآل ميكال كتب في مدحهم مقصوده المشهورة التي اكثر الناس معارضتها وشرحها ، وهي قصيدة طويلة يبلغ عدد ابياتها ٢٢٩ بيتاً ، وقد جمعت الكثير من اخبار العرب وحكمهم واهمالهم وعزل آل ميكال عام ٣٠٨ هـ وانتقلوا الى خراسان فارتحل ابن دريد الى بغداد ، فأجرى الخليفة المقتدر عليه خمسين ديناراً في الشهر ، وعمر ابن دريد طويلاً واصابه فالج في التسعين من عمره ، وتوفي عام ٣٢١ هـ ودفن في المقبرة المعروفة بالعباسية في بغداد .

ويعد ابن دريد اكبر علماء عصره في اللغة واقدروهم على نقد الشعر ، ونظمه ، وكان يقال له : « اعلم الشعراء واشعر العلماء » . وله من الكتب

كتاب السرج واللجام ، وكتاب الخيل الكبير ، وكتاب الخيل الصغير
وكتاب السلاح ، وكتاب الانواء وكتاب الملاحن .

ابن السراج

هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ، اخذ الأدب عن
أبي العباس المبرد ، وكان المبرد يقرّ به فقرأ عليه كتاب سيديويه واخذ
عنه جماعة من العلماء منهم أبو سعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرمانى
وغيرهما ، ونقل عنه الجوهرى في كتابه الصحاح في مواضع عديدة .
درس الموسيقى . ودرس النحو وعول على مسائل الأخنس والكوفيين ،
وخالف اصول البصريين في مسائل كثيرة ، ولم تطل أيامه ، ومات شابا
سنة ٣١٦ هـ وله من الكتب : الأصول الكبير وجل الاصول والموجز
وشرح سيديويه ، الاشتقاق ، والشعر والشراء ، والجمال والخط والمجاء ،
والرياح والهوى والنار ، ولابن السراج ابيات من الشعر منها قوله :

حلفت لنا ان لا نخون عهدنا فكأنما حلفت لنا ان لا تفي
والله لا كلمها ولو انها كالبدر او كاشمس او كالمكتنى
ويقولون ان المكتنى اناب عبيد الله بن طاهر على هذه الأبيات
ظنا منه انها له لا لابن السراج . والسراج : نسبة الى عمل السروج .

ابن سيرة

هو الحافظ أبو الحسن علي بن اسمعيل ، وقيل ابن محمد المرسي

الأندلسي ، كان أبوه ضريباً يعلم اللغة ، وكان هو ضريباً كأيّيه ، وقد أخذ العلم عنه وعن صاعد بن الحسن البغدادي ، وكان أعلم أهل زمانه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها ، أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الأندلس عام ٤٥٨ هـ وله من العمر ستون سنة .

وهو آخر اصحاب المعاجم التي ظهرت في عصره واعظمهم ، له كتب كثيرة منها شرح الحماسة ، وشرح كتاب الأخفش ، وله كتاب « المحكم في اللغة » وهو كتاب كبير رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين ، ويمتاز بالضبط وقد اختار شواهد من أوثق المصادر الشمرية وغيرها ، وعليه عول صاحب القاموس في تأليف كتابه ، والكتاب مخطوط في المتحف البريطاني ، وفي دار الكتب المصرية .

وله « المخصص » وهو مطبوع متداول ، ومواده مرتبة على ما فيها لا على حروفها ، وهو أوفى كتاب في بابها ، قد اجتمعت فيه الألفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها ، أو المتفرعة ببعضها عن بعض في باب واحد .

وله كتاب « شرح مشكل المتنبي » مخطوط بدار الكتب المصرية

ابن قنينة

هو أبو عبدالله محمد بن مسلم ، ولد بالكوفة سنة ٢١٣ هـ وتوفي

على اهلها ، وسكن بغداد ، ثم ولي القضاء في « دينور » فنسب اليها ، واشتغل بالتدريس في بغداد وتوفي بها عام ٢٧٦ هـ . كان راوية صادقاً فيما رويه ، وكان حر الرأي جريئاً في احكامه ، عالماً باللغة والشرع . ويعتبر في النحو امام مدرسة بغداد النحوية ، التي خلطت مذهب مدرسة البصرة بمذهب مدرسة الكوفة ، واشترك في مناقشة عصر الكلامية ، ومع انه دافع عن القرآن والحديث ضد نزعة الشك الفلسفي ، وحمل على رجالها ، الا انه اتهم مع ذلك بالزندقة ، ويقولون انه اف كذاباً في الرد على المشبهة ليدراً عن نفسه تهمة الانتساب اليهم ، واهم تصانيفه الادبيه كتابه « ادب الكاتب » ومن مصنفاته « غريب الحديث » وله : « عيون الاخبار » وكتاب المعارف ، وكتاب « الامامة والسياسة » وكتاب « مشكل القرآن » و« المشتبه من الحديث والقرآن » و« تأويل مختلف الحديث » .

ومما يذكر عن ابن قتيبة انه عاصر الجاحظ ، وكان يكرهه ، وقد ذكر في كتابه « تأويل مختلف الحديث » بأن الجاحظ يذكر حجج النصارى في الرد على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم ، وأنه يستهزي بالحديث كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود ، وانه كان ابيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب ان يبيضه المسلمون حين اسلموا ، وانه كذاب

يضع الحديث وينصر الباطل ، وانه ملائكتيه بالمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبيذ . وربما كان سبب الخصومة بينهما ان الجاحظ منزلي متكلم ، وابن قتيبة من اهل السنة ، والنزاع بين الطائفتين شديد عنيف .

ابن النحاس

هو بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد ، ولد بحلب سنة ٦٢٧ هـ وهاجر الى مصر عندما خربت حلب ، بعد ان سمع من ابن المثنى ، والموفق بن بيش وغيرهم ، وجلس للإفادة في مصر ونخرج به جماعة من الأئمة الفضلاء ، كان ذكيا ذا خبرة بالمنطق ، فيه ظرف النحاة وانبساطهم وكان حسن الاخلاق له صورة كبيرة في صدور الناس حتى كان بعض القضاة اذا انفرد بشهادة حكمه فيها ووثقا بدينه ، وكان معروفا بحل المشكلات والمعضلات . وقد درس بالمنصورية ، وولى تدريس التفسير بالجامع الطولوني ، ولم يصنف شيئا الا ما املاه شرحا لكتاب المقرب . وكان ابو حيان من تلاميذه . توفي سنة ٦٩٨ هـ

ابرهيم

هو اثير الدين محمد بن يوسف الفرناطي ، بربري الأصل ولد في غرناطة عام ٦٥٤ هـ ودرس النحو والحديث فيها ، وتنقل في شمال افريقية ومصر . واتجه الى الحجاز وادى فريضة الحج ثم عاد الى القاهرة واخذ

يدرس الحديث في المدرسة المنصورية فيها .

كان ظاهري المذهب ، حتى لقد قال عنه ابن حجره انه كان ظاهرياً حتى في النحو ، وربما كان قصده من قوله هذا انه كان شديد التمسك بآراء النحويين الاوائل كسيبويه مثلاً .

وقد شهر ابو حيان هذا بالنحو على انه كانت له مصنفات في علوم القرآن والحديث ، ويقولون انه كتب كتاباً في تاريخ الاندلس يقع في ستين مجلداً .

كان ابو حيان اعجوبة زمانه في كثرة التأليف حتى قالوا ان مؤلفاته قد بلغت الخمسة والستين عدداً ، على ان الذي وصلنا منها لا يزيد على العشرة ، وكان اعجوبة زمانه في سرعة تلم اللغات ، فهو بربري الاصل كما مر ، اتقن العربية وبرز في نحوها ، واتقن الفارسية وصنف كتاباً في نحوها ، واتقن السكردية وصنف كتاباً في نحوها : وكتابه هذا كان ذا فائدة جلييلة طبع بالقسطنطينية واسمه « الادراك في لسان الاتراك » وتعلم الحبشية وكتب رسالة - لم يتمها - فيها . وتوفي بالقاهرة عام ٥٧٤٥هـ .

ابو الاسود الدؤلى

هو ظالم بن عمرو منسوب الى دئل وهي بطن من كنانة ، قال الجاحظ « ابو الاسود مدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم . أثور عنه الفضل في جميعها ، كان مدوداً في التابعين والفقهاء

والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين
والشيعة والبخلاء. كان ابو الاسود ثقة في حديثه روى عن عمر وعلى
وابن عباس وابي ذر وغيرهم ، على انه كان اكثر الناس تعلقاً ببلي وعنه
اخذ علم النحو كما مر بك ، وقد ولي قضاء البصرة ، وقد ادرك اول
الاسلام وشهد بدرأ ، وتوفي بالطاعون عام ٦٩ هـ وله من العمر ٨٥ سنة
ولأبي الاسود شمر اكثره في الحكمة والادب ، ويرى بعض الكتاب
المحدثين ان الكثير من هذه الاخبار التي اسندت لأبي الاسود قد
وضعت عليه ، حتى يقول المستشرق ركندورف Reckendorf في
مقالة عنه في دائرة المعارف الاسلامية « وليس حقاً ما يقال عنه إنه
واضع اصول النحو العربي - اما القصص التي تروى عنه فليست مما
يعلى من قدره ، ولكن يؤخذ من اشعاره ، ان بعض هذه القصص ،
على الاقل قد احكم تاليفه » .

ابو علي الفارسي

هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار ، ابو علي الفارسي ، واحد زمانه
في علم العربية ، اخذ عنه الزجاج وابن السراج ، وقال غير واحد من
تلامذته انه اعلم من المبرد طوف في بلاد الشام ، وكان متها بالاعتزال ،
ولجأ الى الامير البويهى عضد الدولة وصنف له كتاب الايضاح في
النحو ، والتكملة في التصريف ، ويقال ان عضد الدولة حين حمل اليه

ابو علي كتاب التكملة قال : « غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو ، وكان عضد الدولة هذا اديباً شاعراً ، اورده الثعالب طائفة من القصائد ، وقال ابن عباد في مدح بعض قصائده ما لا يقال في شعر شاعر . كان ابو علي مع عضد الدولة هذا ، فقال له : بم ينتصب المستثنى ؟ فقال ابو علي : « بتقدير استثنى » فقال له : لم قدرت استثنى فنصبت ، هلا قدرت امتنع زيد فرفعت » فقال : هذا جواب ميداني ، فاذا رجعت قلت الجواب الصحيح » .

ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه قال لأبي علي : « ما رأيك في صحبتنا » فقال : « انا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء فخار الله للملك في عزيمته ، وانجح قصده في نهضته ، وجمل العافية ردائه والظفر تجاهه ، والملائكة انصاره ، فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك فاني واثق بطاعتك . »

وكان يأخذ بالقياس ويديره اهتمامه حتى حكي عنه ابن جني تلميذه انه كان يقول : اخطأ في مائة مسألة لغوية ، ولا اخطأ في واحدة قياسية ، ومن تصانيفه : الحجة ، والتذكرة وتعليقة على كتاب سيدييه والمسائل الحلية ، والبغدادية والقصرية والبصرية ، والشيرازية وغيرها . ويقول السيوطي انه لم يقل من الشعر الا ثلاثة ابيات هي :

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضبت الشيب اولى ان يعابا

ولم اخضب مخافة هجر خل ولا عتبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميا فصيرت الخضاب له عتابا

ابو علي القالي

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى ،
ابن محمد بن سليمان ، وجده سليمان هذا مولى لعبد الملك بن مروان ،
ولد القالي بمنار جرد من ديار بكر ، ونشأ بها ، ورحل الى العراق لطلب
العلم ، والقالي نسبة الى قالي قلا - بلد من اعمال ارمينية - قال القالي عن
نفسه « لما انحدرنا الى بغداد ، كنا في رفقة كان فيها اهل قالي قلا ، وهي
قرية من قرى منار جرد ، وكانوا يكرمون لما كانهم من الثغر ، فلما
دخلنا بغداد نسبت اليهم لـ يكون في معهم ، وثبت ذلك علي » .

ودخل القالي بغداد سنة ٣٠٣ هـ ، وسمع الحديث على جملة من
العلماء منهم عبدالله بن محمد البغوي ، وابو سعيد الحسن بن علي بن
زكريا العدوي ، وابو بكر عبدالله بن ابي داود السجستاني وقرأ النحو
والعربية على ابن درستويه والزجاج ، والاخفش الصغير ، ونفطويه
وابن دريد ، وابن السراج ، وابن الأنباري وغيرهم .

ونبغ ابو علي في علوم اللغة ، وذاعت شهرته ، فاستدعاه عبدالرحمن
الناصر خليفة الأندلس ، ووصل ابو علي الى هناك فاستقبل استقبالا
عظيما ، وكان ولي العهد « الحكم » ووزراء الخليفة من المستقبليين ،

واكرم الناصر وفادة ابى علي وخصه بتعليم ابنه «الحكم» وسمع علماء
الاندلس بسعة اطلاع ابى علي ، وطول باعه فى اللغة وفنونها ، فاقبلوا
عليه يستفيدون من محاضراته فى اللغة والأدب ، وكان يملها من حفظه
فى ايام الائمة بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة . ويقول
ياقوت فى منجمه «ومن روى عن القالى ابو بكر محمد بن الحسين
الزيدي النحوي ، صاحب كتاب مختصر العين ، واخبار النحويين ،
وكان حينئذ اماماً فى الأدب ، ولكن عرف فضل ابى علي فقال اليه ،
واختص به واستفاد منه ، واقر له »

ويقول الضبي فى كتابه بغية الملمس : « كان احفظ اهل زمانه
للغة ، وأرواهم للشعر ، واعلمهم بالمال والنحو على مذهب البصريين
واكثرهم تدقيقاً فى ذلك ،

وانقطع ابو علي بقية عمره بالاندلس واملاه كتبه التى منها :
كتاب الأمالي ، وكتاب الابل ، وكتاب حلى الانسان والخيال
وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب تفسير السبع الطوال .
وتوفى ابو علي بقرطبة سنة ٥٣٥٦ . ويروى بعضهم انه كان
مكتوباً على قبة قبره :

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا

فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا ندفنوني بالمرء فرجما
بكي إن رأى قبر الغريب غريب

ابو القاسم (ابن القطاع)

هو ابو القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المولود، المصري الدار
والوفاة، كان احداً أئمة الادب، خصوصاً اللغة وله تصانيف مفيدة،
منها كتاب الافعال، وكتاب ابنية الاسماء، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه
وله كتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة، وكتاب لمح
المح، جمع فيه جماعة من شعراء الاندلس.

رحل من صقلية، حين تملكها الافرنج - ووصل الى مصر
فأكرمه اهلها، وله نظم لطيف منه :

فلا تنفدن العمر في طلب الصبا ولا تشقين يوماً بسعدي ولا نعم
ولا تندبن اطلال مية باللوى ولا تسفحن ماء الشؤون على رسم
فان قصارى المرء ادراك حاجة وتبقى مدمات الاحاديث والاثم

كانت ولادته سنة ٤٣٣ هـ وتوفي بمصر سنة ٥١٠ هـ.

ابو القاسم (الزمخشري)

هو ابو القاسم جابر الله الزمخشري - كان اماماً في التفسير والنحو
واللغة والادب . ولد بمدينة « زمخشري » قرية من قرى خوارزم عام
٤٦٧ هـ . كان مقطوع الرجل ، يعتمد على رجل من خشب ، سأله عن

سبب هذا فقال : « رحلت الى بخاري في طلب العلم فسقطت عن الدابة في اثناء الطريق فانكسرت رجلى واصابني من الالم ما اوجب قطعها ، وپروون ايضا انه اصابه برد الثلج في بعض اسفاره فسقطت رجله . كان الزمخشري معتزلى المذهب مجاهراً باعتزله ، وقد فسر القرآن في تفسيره الكشاف ، تفسيراً بلاغياً ، ظهرت فيه طبيعة المعتزلة الذين تقوم بحوثهم على الترتيب المنطقي والعمانية بالجمال الفنى ، وللمزمخشري شعر لا تظهر فيه الخلاوة التي نراها في شعر الشعراء المطبوعين ، ولكنه شعر العلماء ، من هذا ما قاله في « كشافه » مدحه :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كاللداء ، والكشاف كالشاف
وله نثر ينحوبه نحو الصنعة والسجع ، منه قوله في كتابه
« الاطواق » استمسك بمجل مواخيك ، ما استمسك بأواخيك ،
واصحبه ما صحب الحق واذعن ، وحل مع اهله وظعن ، فان تنكرت
انحاءه ، ورشح بالباطل اناءه ، فتموض عن صحبته وان عوضت الشعم
وتصرف بمجمله ولو اعطيت النسم .

توفى الزمخشري بقصة خوارزم ليلة ٥٨٣ هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها : « تفسير الكشاف » و « الفائق في غريب الحديث » و « شرح كتاب سيديوه » و « كتاب الجبال والامكنة » و « اساس البلاغة »

و« كتاب النموذج في النحو » و« المفصل » في النحو وله « اعجب العجب في شرح لامية العرب » وله ديوان شعر ، وله غير هذا كثير وذكر ياقوت طائفة من كتبه في معجمه . انظر ٢٠ - ١٣٤ من معجم ياقوت .

ابو منصور الثعالبي

هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري الثعالبي ، لقب بالثعالبي ، لأنه كان فراءً بجند الثعالب ، وهو خاتمه مترسلي عصره ، واوسعهم مادة ، واكثرهم آثاراً وهو الذي ترجمهم وذكر اخبارهم ؛ وله نظم حسن ونثر حسن ، وله من الكتب ما يبعث العجب كثرة ، وقد وصلنا منها نحواً من اربعين كتاباً ، والكثير منها مطبوع متداول ، ومن اشهر هذه الكتب « يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر » وهي تشمل اخبار شعراء المائة الزابعة للهجرة ، وقد قسم الكلام فيها الى ابواب باعتبار البلاد ، فافرد باباً لشعراء الشام ، وباباً لشعراء مصر والمغرب ، وآخر لشعراء الموصل ، وآخر لشعراء البصرة وآخر لشعراء بغداد ، وهكذا وربما كان هو اول من نحا هذا المنحى في ترتيب الشعراء ... ويؤخذ عليه في كتابه هذا - وربما كان اشهر كتبه - انه يكتفي بذكر بعض الأشعار للشاعر المترجم له ، ويفقل ذكر سنة الولادة والوفاة . ومن كتبه « فقه اللغة » وهو معجم معنوي جمعت فيه المعاني

المتقاربة او المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها ، او تدرجها ،
او تفرعها ... ومن كتبه « الكناية والتعريض في البلاغة » ، و « سحر
البلاغة » و « غرر البلاغة وطرف البراعة » و « من غاب عنه المطرب »
و « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » وغيرها . وقد توفي
سنة ٤٢٩ هـ .

ابو منصور الجوالقي

ابو منصور موهوب بن ابي طاهر ، احمد بن محمد الجوالقي
البغدادى ، والجوالقي نسبة شاذة الى عمل الجوالق ويجمعها ، توفي في
بغداد سنة ٥٢٩ هـ وله من العمر سبعون سنة ، كان اماما للخليفة المقتدى
يعمل به الصلوات الخمس ، كان اماما في فنون الأدب ، وكان مفخرة
بغداد في عصره ، صنف التصانيف الكثيرة ، منها شرح ادب الكاتب ،
والعرب ولم يعمل في باب اكبر منه ، وتتمعة درة الفواص ، وغير ذلك
وهو في اللغة اقدر منه في النحو ، ويقولون انه كان يختار فيه مسائل
غريبة . وقد الف في علم العروض كتابا لطيفا ، ثم أخذ بمعرفة علم النجوم
حتى اتقنه ، ويقولون ان الذي قاده الى هذا ان شابا سأله بيتين من
الشعر ، ذكر فيهما الشمس والجوزاء والقوس ، فألى على نفسه ان لا
يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ، ويعرف تسيير الشمس
والقمر ، فنظر في ذلك وحصل معرفته ، وينسب للجوالقي شيء من
الشعر ، وهو على قلته يرينا انه شعر العلماء ، لا شعر الشعراء المطبوعين .

الأصمعي

هو عبد الملك بن قريب ، من قيس ، والأصمعي كنيته ، نسبة الى « الأصمعي » ولد بالبصرة عام ١٢٢ هـ . وتوفي عام ٢١٣ هـ ، انكب على التحصيل في البصرة وافاد من دروس الخليل ، وابى عمرو عيسى بن عمر ، وابى عمرو بن العلاء وصار اتقن القوم واعلمهم بالشعر ، واحضرهم حفظا ، وتلمذ له تلاميذ اشتهروا فيما بعد منهم : ابو الفضل الرباعي ، وابو هاشم السجستاني وابو سعيد السكري وغيره ، وكانت له ذاكرة عجيبة وعت فروع المعرفة في عصره ، كان متضلعا في لهجات العرب ، اهل الصحراء ، قدم الى بغداد في ايام الرشيد وتزعم الحياة العقلية التي كان يحياها بلاط الخليفة ، وترك بغداد الى البصرة حاملا معه ما حصله من اسباب اثروة في بغداد ، وحين ولى المأمون الخلافة بعد اخيه الأمين ، كان الأصمعي في البصرة ، فبعث اليه يستقدمه الى بغداد ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فصار المأمون يأمر بجمع المشكل من المسائل ثم يسيرها اليه فيجيب عليها ، وقد شهر الأصمعي بكثرة حفظه حتى قالوا إنه كان يحفظ ١٢٠٠٠ ارجوزة ، وحسبك على كثرة حفظه أن غالب مصنفي العرب يروون عنه حتى اننا نستطيع ان نستخرج بعض كتبه مما رووه عنه ، وهو لم يقتصر في مصنفاته على ايراد ابيات منفردة من الشعر او قصائد منه بل روى دواوين كاملة ، ولما يرجع الفضل في جمع دواوين اكثر الشعراء الذين وصلتنا دواوينهم .

وللأصمعي مؤلفات كثيرة ، ذكر ابن النديم منها نيفا واربعين كتابا ، عرف منها « كتاب الفرس » و « كتاب الأراجيز » و « كتاب الميسر » و « كتاب الغريب » وله من الكتب المطبوعة : الأصمعيات ، ورجز المعجاج ، و « كتاب اسماء الوحوش » و « كتاب الابل » و « كتاب خلق الانسان » و « كتاب الخيل » و « كتاب الشاء » و « كتاب الدارات » و « كتاب الفرق » و « كتاب النبات والشجر » و « كتاب النخل والكرم » و « وكتاب الغريب » .

خلف الأحمر

هو ابو محرز البصري المعروف بالأحمر ، مولى أبي بردة بلال بن موسى الأشعري اعتق بلال ابويه وكانا فرغانيين . قال ابو عبيدة معمر ابن المثنى : خلف الأحمر معلم الأصمعي ، ومعلم أهل البصرة . وقال الاخفش : لم ادرك احداً اعلم بالأشعر من خلف الأحمر والأصمعي . وقال ابن سلام : اجمع اصحابنا ان الأحمر كان افرس الناس ببيت شعر ، واصدق لسانا ، وكنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبراً او انشدنا شعراً الا نسمعه من صاحبه . وقال شمر : خلف الأحمر اول من احدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه ، وكان ضنينا بأدبه ، وقال ابو الطيب اللغوي : كان خاف يضع الشعر وينسبه الى العرب فلا يعرف ، ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وبذل له بعض الملوك

مالا عظيما على ان يتكلم بيديت شعر فأبى . وله ديوان شعر حمله عنه ابو
نؤاس وكتاب جبال العرب . توفي في حدود الثمانين ومائة . وكان بين
خلف وبين ابي محمد الزيدى مهاجاة اورد يافوت طائفة منها .

عبد القاهر الجرجاني

قال الحافظ الذهبي في تاريخه « دول الاسلام » : « وفي سنة احدى
وسبعمين واربعماية مات امام النحاة ، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن
الجرجاني صاحب التنايف » وقال تاج الدين السبكي في طبقات
الشافعية الكبرى : « عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ الكبير ابو
بكر الجرجاني النحوى ، المتكلم على مذهب الاشعري ، الفقيه على مذهب
الشافعي ، اخذ النحو بجران عن ابي الحسين محمد بن الحسن الفارسي
ابن اخت الشيخ ابي علي الفارسي » ومن مصنفاته كتاب المغنى على شرح
الايضاح في نحو ثلاثين مجلداً ، وكتاب المقصد في شرح الايضاح
ايضا وكتاب العوامل المائة ، والمفتاح وشرح الفاتحة ، والعمدة في
التصريف .

وهكذا ترى ان عبد القاهر كان عالماً مبرزاً في غير فرع من
فروع الثقافة العربية ، فهو النحوى ، المتكلم ، المفسر ، الفقيه ، ومع ان
ابن خلدون زعم ان السكاكى هو الذي هذب علم البلاغة ، ولم ما قاله عنه
السلف ، فان العلوى صاحب « الطراز في علوم حقائق الاعجاز » قال :

« واول من اسس من هذا الفن قواعده ، واوضح براهينه ، واظهر فوائده ، ورتب افانينه الشيخ العالم التحرير عبد القاهر الجرجاني . وله من المصنفات فيه كتابان احدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة » .

قدامة بن جعفر

هو ابو الفرج قدامة بن جعفر ، نشأ في بغداد ، وعلا شأنه في ايام المكتفي بالله الخليفة العباسي ، فقد اسلم على يديه ، وكان قبل ذلك نصرانيا ، برع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنف في ذلك كتباً ، منها كتاب نقد الشعر له ، وقد تعرض ابن بشر الآمدي الى الرد عليه . وله كتاب في الخراج رتبه مراتب ، وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه - وله من الكتب . غير هذين الكتابين - كتاب درياق الفكر وكتاب السياسة ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به ابا تمام ، كتاب صناعة الجدل ، وكتاب الرسالة في ابي علي بن مقبله ، وكتاب نزهة القلوب ، وزاد المسافر ، وله غير هذا ، وكانت وفاته ببغداد ايام المطيع سنة ٣٤٧ هـ .

فهرس تفصیلی موضوعات الكتاب

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
المقدمة	٣	الاختداد	٣٩
الأدب	٩	المجاز	٣٩
علوم الأدب	١١	الالفاظ الاسلامية	٤١
اجمال وايضاح	١٣	الاصطلاح	٤٣
اللغة العربية		الالفاظ المولدة	٤٥
اصلها	١٧	تنبيه	٤٧
تطورها	١٨	المرب والتعريب	٤٨
عوامل تهذيبها	٢٠	بماذا يعرف العرب	٥٢
د نماؤها وتوسعها	٢١	هل التغير ضروري في التعريب	٥٩
الاشتقاق	٢٢	هل يجب الحاق العرب بأوزان	
النحت ✓	٢٦	الكلم العربية	٦١
القلب ✓	٢٩	تنبيه	٦٢
الابدال ✓	٣١	تصريف العرب	٦٣
الترادف ✓	٣٣	الخلاصة	٦٥
الاشتراك ✓	٣٦	كيفية التعريب	٦٦

الصحيفة

٧٠

تدوين علم اللغة

(٧٢)

طور الرواية الخالصة

ابو الأسود ، يحيى بن يعمر ، نصر بن عاصم الليثي ، عنبسة النخيل ،
 ميمون الأقرن ، عبدالله بن زيد الحضرمي ابو عمرو بن العلاء ،
 ابو سفيان ابن العلاء ، عيسى بن عمر الشنقي ، يونس بن حبيب ،
 الأخفش الأكبر محمد بن الحسن الرؤاسي ، ابو مسلم الهراء ،
 سعيد بن اوس الأنصاري ، الأصمعي ، ابو عبيدة معمر بن
 المثنى ، خلف الأحمر ، الخليل بن احمد الفراهيدي

٨٢

طور الرواية والكتاب

٨٤

فروع المسالك اللفظي

٨٨

فروع المسالك المعنوي

٩٠

المعاجم المامة والخاصة

(٩١)

الطبقة السادسة وما بعدها

سيبويه ، النضر بن شميل ، حماد بن سلمة ، يحيى بن المبارك ،
 السدوسي ، ابن سلام ، الكسائي ، الجهمضي ، المفضل الضبي ،
 صالح الجرمي ، عبدالله بن محمد التوزي

الضعيفة

قطرب ، الفراء ، القاسم بن سلام ، ابن الأعرابي ،
 الأخفش الأوسط ، أبو اسحاق الزياتي ، أبو عثمان المازني ،
 العباس الرياشي ، أبو حاتم السجستاني ، عبد الرحمن بن عبد الله
 ابن قريب ، أحمد بن حاتم الباهلي ، أبو عمرو الشيباني ، علي بن
 الحسن ، علي بن حازم الاحياني ، عبد الله بن سعيد الأموي .

المبرد ، ثعلب ، الاشناداني ، ابن السكيت ، عمرو بن أبي
 عمرو الشيباني ، محمد بن حبيب السكوفي ، علي بن المغيرة الأشرم
 أبو سعيد السكري ، ابن قتيبة الدينوري ، الزجاج

اشهر كتب اللغة

١٠٠

الجمهرة ، البارع ، مختصر العين ، كتاب العشرات ، ديوان الأدب
 التهذيب ، غريب الالفاظ ، المحيط ، المجمل ، الصحاح ، الجامع ،
 الموهب ، المحكم ، فقه اللغة ، المخصص .

اشهر المعاجم في المائة السادسة

١٠٢

تهذيب اصلاح المنطق ، مفردات القرآن ، السامى في الاسامى ،
 شمس العلوم ، اساس البلاغة ، الفائق ، كتاب الامكنة والجبال والياه

اشهر المعاجم في المائة السابعة

١٠٣

المغرب ، كفاية المتحفظ ، العباب ، كتاب التكملة والذيل ،
 مجمع البحرين ، كتاب الاضداد .

الصحيفة

- ١٠٤ اشهر المعاجم في المائة الثامنة
لسان العرب ، المصباح المنير ، مختار الصحاح .
١٠٥ اشهر المعاجم في المائة التاسعة
القاموس المحيط

مفردات القرآن ١٠٦ - ١١٢

غريب الحديث ١١٢ - ١٢٠

النحو

- ١٢٠ البصريون والـكوفيون
١٢٢ مذهب البغداديين
١٢٩ مذهب الأنـدلسيين
١٣٠ اشهر النحاة في المائة الرابعة
١٣٢ اشهر النحاة في المائة الخامسة
١٣٣ اشهر نحاة المائة السادسة والسابعة
١٣٥ اشهر نحاة الانـدلس
١٣٦ اشهر نحاة المائة الثامنة
١٣٦ اشهر كتب النحو
١٣٧ الطرق المشهورة (في دراسة النحو)
١٤٠

- ١٤٥ الصرف
- ١٤٥ اشهر رجاله
- ١٤٦ اشهر كتبه
- ١٤٧ بعض ماهات الكتب النحوية المتداولة
- الايجاز الخل ، عدم التدرج في ترتيب المسائل ، الخلط بين مسائل النحو ومسائل من علوم اخرى ، عدم الموازنة بين قدرة الطالب وبين ما يحشد له من عو بص المسائل ، حشد القيود الكثيرة ، المناقشة على الالفاظ ، التوسع في النظريات من غير فائدة عملية ، الاعتماد على الامثلة الجافة ،
- ١٥٧ تأريخ علم البلاغة
- اشهر المؤلفين - اشهر الكتب
- ١٦٥ البديع
- اشهر المؤلفين - اشهر الكتب
- ١٧١ الخط العربي
- تمهيد
- موقع الخط ما قبل التاريخ ، الخط الصوري ، امهات الخطوط ، الخط المصري ، الطريقة الفنية ، فروع الخط الفنيقي
- ١٧٨ تعريف بعض الاعلام الهامة في الكتاب

فهرست الاسماء

المصنف

— الألف —

١٠٤	ابن اسحاق الاجداني
٩٨٠٩٧٠٩٤	ابن الاعرابي
١٠١٠٨٥	ابن التياني
١١٩٠١١٨	ابن الاثير (المبارك بن محمد)
١١٦٠٣٩	* ابن الانباري (ابو بكر) (١)
١٠٩٠٣٩	ابن الانباري (ابو البركات)
٨٩	ابن النديم
١٤٥٠٣٧٠١٣٣٠٤٠٠٢٦٠٢٤	* ابن جني
١٥٦٠١٤٧٠١٤٥٠١٤٣٠١٣٨٠١٣٩	ابن الحاجب (عثمان بن عمر)
٨٨	ابن حجر العسقلاني
٦٢٠٣٤٠٣٣٠٢٥	* ابن خالويه
١٦٠٠١٤٩٠١٤٨	ابن خلدون
٨٨	ابن خلكان

(١) * هذه العلامة تعني ان الاسم قد عرّف به في آخر الكتاب

١٠٩٠٠٠٠٩٩٠٨٥٠٢٥	* ابن دريد
٣٩	ابن الدهان
٥١	ابن رشد
١٦٥	ابن رشيق القيرواني
١٣٢٠٩٩٠٦٢٠٢٥	* ابن السراج
١٠٢٠٩٨	ابن السكيت
١٠٢٠٩٠٠٨٩٠٨٥٠٥٥	* ابن سيده
٦٢	ابن السيد (البطلوسي)
١٠١	ابن عباد
١١١	ابن عباس
١٤٩	ابن العربي (ابو بكر)
١٠١	ابن فارس
١١٧٠١١٦٠٩٩٠٤٨	* ابن قتيبة الدينوري
٦٢	ابن القطاع
١٣٧٠١٣٦٠١٣٤٠١١٤٠٢٧	ابن مالك
١٦٠٠١٤٧٠١٤٥٠١٤٣٠١٤٠	
١٦٥	ابن المعتز
١٠٤	ابن منظور (محمد بن مكرم)

* ابن النحاس

ابن هشام الانصاري (عبدالله بن

يوسف) ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٥

ابو ابراهيم بن اسحق الحربي ١١٦

ابو اسحق (ابراهيم بن سفيان

الزيادي) ٩٤

ابو اسحق (انظر الزجاج)

ابو بكر (انظر ابن دريد)

ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني ١١٠

ابو جعفر (الرؤاسي) ١٢٢ ، ٧٩

ابو جعفر (محمد بن حبيب الكوفي) ٩٨

ابو حاتم السجستاني ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٥

ابو الحسن (الاخفش) ١٣١ ، ١٢٥

ابو الحسن الأشرم ٩٨

ابو الحسن (سعيد بن مسعدة -

الاخفش الأوسط) ٩٤

* ابو حيان النخعي ١٣٩ ، ٢٧ ، ٢٤

ابو الخطاب (الاخفش الاكبر) ١٣٢ ، ٩٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩

٦٧	ابو داود الايادي
١٠٢	ابو زكريا التبريزي
١٢٧، ٩٦، ٩٥، ٩٣، ٩٢، ٨٤، ٧٩، ٦١٠	ابو زيد الانصاري
٧٧	ابو سفيان ابن الملاء
	ابو سعيد (انظر الاصمعي)
٩٨	ابو سعيد السكري
١٣٢	ابو سعيد (السيرافي)
١١٧، ١١٦	ابو سليمان (احمد بن محمد الخطابي)
٢٢٢، ١٨١، ٧٦، ٧٥، ٧٤	* ابو الاسود الدؤلي
١٣	ابو الطيب
٧٧	ابو الطيب اللغوي
	ابو العباس (انظر المبرد)
	ابو العباس (انظر ثعلب)
١٠١	ابو عبدالله القزاز
١١٥، ١١٠، ٩٧، ٩٣	ابو عبيد (القاسم بن سلام)
	ابو عبيد (انظر الهروي)
٩٣، ٨٤، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٣٠	ابو عبيدة
١١٦، ١١٥، ١٠٩، ٩٦، ٩٥	

٩٧	ابو عثمان الاشناداني
١٤٥٤٩٧٤٩٥	ابو عثمان المازني
١٣٢٤٣٤٤٢٤	* ابو علي الفارسي
١٠٠٤٩٩	* ابو علي القالي البندادي
١١٦	ابو عمر الزاهد
٦٢	ابو عمر الجرمي
١٠٠	ابو عمر (غلام ثعلب)
١٢٢٤٩٢٤٩١٤٨٠٤٧٩٤٧٨٤٧٧	ابو عمرو بن الملا
٩٨٤٩٦	ابو عمرو الشيباني
	ابو غالب (انظر ابن التيسان)
	ابو الفتح (انظر ابن جني)
٩٨٤٩٥	ابو الفضل العباس (الرياش)
٩٢	ابو فيد السدودي
	* ابو القاسم السعدوي (انظر ابن القطاع)
	* ابو القاسم (انظر الزمخشري)
	ابو القاسم (انظر الراغب الاصفهاني)
	ابو القاسم (انظر الزجاجي)
٩٦	ابو محمد (عبدالله بن سعيد الاموي)

ابو محمد (انظر الحريري)

ابو مسلم الهراء (انظر الهراء)

* ابو منصور (الثمالي) ١٠٤٤، ١٠٢٦، ٨٩

* ابو منصور الجواليقي ٩٢، ٩

ابو موس الاشعري ٧٢

ابو نصر (احمد بن حاتم الباهلي) ٩٦، ٢٥

ابو نواس ٨١

ابو هلال العسكري ١٦٥، ١٥٧

احمد بن أبان الاندلسي ٩٠

احمد بن فارس

الازهري ١٠٥، ١٠٠، ٥٤

* الاصمعي (عبد الملك بن قريب) ٦٠، ٢٥، ٨١، ٨٤، ٩٣، ٩٥

١١٥، ١٠٩، ٩٦

٩٨، ٥١

امرؤ القيس

— الباء —

١١٨

البخاري

١٥٥

البركوي

٤٥

بشار

٢٢٥

الصحيفة

١٦٧٠ ١٦٦

البو صيري

١٦١

بهاء الدين السبكي

— البناء —

١٦١ التفتازاني (مسعود بن عمر)

١٦٨ تقي الدين (ابن حجة الحموي)

٣٩

التوزي

— البناء —

٩٧٠ ٩٤٠ ٣٤

ثعلب

— الجيم —

١٥٨٠ ١١٢٠ ٨٠٠ ٥٥٠

الجاحظ

٩٨٠ ٨٩٠ ٤٥٠

جرير

١١٨٠ ١١٩٠ ١٠٩٠ ٨٠٠ ٤٨٠ ٣٣٠ ٣٠

الجلال السيوطي

١٤٥٠ ١٣٩٠ ١٣١٠

١٠٤٠ ١٠٠٠ ٨٦٠

الجوهري

— الحاء —

١٢٤

حازم بن محمد الانصاري

٩١٠ ٤٨٠

الحريري

٩١

جلد بن سلمه

٤٥

حماد عجرد

١٢٧

حماد بن هرمن الديلمي

— الخاء —

١٥٣ ، ١٥١ ، ١٣٩ ، ١٣٨

خالد الازهري

١٢٣ ، ٩٢ ، ٨١

* خلف الاحمر

٩٢ ، ٩١ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٧٤ ، ٢٨

* الخليل بن احمد

١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ٩٣

— الزاء —

الراغب الاصفهاني (ابو القاسم) ١١١ ، ١٠٣ ، ١٠٢

١٣٢ ، ٢٥ الرمانى (علي بن عيسى)

١٢٨

الرشيد

٧٨

رؤبه بن المعجاج

— الزاء —

الزجاج (ابو اسحق) ١٣٢ ، ١٠٩ ، ٩٩ ، ٢٥

الزجاجي (ابو القاسم عبد الرحمن) ١٣٢

١٦٥

زكي الدين بن ابى الاصم

الزغشيري (محمود بن عمر) ١٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،

١٦٢ ، ١٦٠ ، ١٤٢

٢٢٧

الصحيفة

٩٨٠٥١

زهير

— السنين —

السكاكي (ابو يعقوب يوسف

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣

بن ابي بكر)

٩٢ ، ٩٠ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٨ ، ٦٢ ، ٦١

سينويه

٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤١

— السنين —

١٦٥

شرف الدين التيفاشي

١١٦

شمر بن حمدويه

١٢٢

شيدان بن عبدالرحمن النيمي

— الصاد —

صالح بن اسحق الجرمي

١٦٨

صدر الدين بن موصوم الحسيني

١٦٦ ، ١٦٧

صفي الدين الحلي

٣٩ ، ١٠٤

الصنفاني

— الطاء —

١٢

الطفرائي

- عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب ٩٥
 عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني ٩٠
 عبدالله بن زيد الحضرمي ٧٧
 عبدالله بن طاهر ١١
 عبدالله بن محمد التوزي ٩٣
 عبدالله بن محمد الصنهاجي ١٥٠
 عبدالقادر البغدادي ١٥٦
 * عبدالقاهر الجرجاني ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
 عبدالملك بن مروان ٧٩
 عز الدين الموصللي ١٦٨
 عطاء ٧٥
 علي بن ابي طالب ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٦
 علي بن حازم اللعياني ٩٦
 علي بن عثمان السليمانلي ١٦٧
 علي بن الحسن الاحمر ٩٦
 علي بن سلام الجمحي ٩٢

١٣٣	علي بن عيسى الربيعي
١٤٦	علي بن مسمود
٩٢	علي بن نصر الجهمضي
٧٢	عمر بن الخطاب
١٢٦	عمرو بن العاص
٧٦	عنيسة (القييل)
٩٣٠٩١٠٨٠٠٧٨٠٧٧	عيسى بن عمر الثقفي

— الفين —

٥١

الفزالي

— الفاء —

١٠٠

الفارابي

١٣١٠١٢٨٠١٢٦٠١٠٩٠٩٨٠٩٣

الفراء (يحيى بن زياد)

٩٨٠٨١٠٤٥

الفرزدق

١٠٤٠٨٧

الفيوي

— القاف —

٧٥

قتيبة بن مسلم

٩٠

* قدامة بن جعفر

١٢٣٠ ٩٦٠ ٩٤٠ ٩٣٠ ٩٢٠ ٧٩٠ ٦٧٤

الكسائي

١٣١٠ ١٢٨٠ ١٢٦٠ ١٢٤٠

١١

كشاجم

— اللام —

٩٨

ليبد

— الميم —

١٢٨٠ ٩٢

المأمون

١١٦٠ ٩٩٠ ٩٧

المبرد (أبو العباس)

١٠٥٠ ٩٠٠ ٨٩٠ ٣٣

محمد الدين الفيروزبادي

١٠٥

محمد بن أبي بكر الرازي

١١٨

محمد بن أبي بكر المديني

١٩٧٠ ١٦٦

محمد بن أحمد الهواري

١٠٠

محمد بن الحسن الزبيدي

١٦٣٠ ١٦٢٠ ١٦١

محمد بن عبد الرحمن القزويني

١٠٥

مرتضى الزبيدي

١٦٤

محمد عبده

٩٨٠ ٩٣٠ ٢٥

محمد بن المستنير (قطرب)

مسعود بن عمر (انظر التفتازاني)

١١٨	مسلم
١٠٤٦١٠٣٠٨٧	الطرزي
	معان بن مسلم (انظر الهراء)
١٠٧	المعري
٢٥	المفضل بن سلمه
١٢٧٠٩٢	المفضل بن محمد الضبي
١٥٥	الملا جاي
٤٨	الموفق البغدادي
١٤٦٠١٠٣	الميداني (احمد بن محمد)
١٢١٠٧٦	ميمون الا قرن
— النون —	
٩٩	النايفة الجمدي
٩٨٠٥١	النايفة الذيباني
١٢١٠٧٦	نصر بن عاصم اللبثي
١١٥٠٩١	النضر بن شميل
— الهاء —	
١٤٥٠١٢٢٠٧٩	الهراء
١١٨٠١١٧٠١١١٠١١٠	الهروي

— الواو —

٤٥

والبة بن الحباب

— الياء —

٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥

ياقوت الحموي

١٦١

يحيى بن حمزة العلوي

١٢٣

يحيى بن خالد البرمكي

يحيى بن زياد (انظر الفراء)

٩٣ ، ٩١

يحيى بن المبارك اليزيدي

١٣٤

يحيى بن معطى الزواوي

٢١ ، ٧٦ ، ٧٥

يحيى بن يعمر

٩٢ ، ٨٠ ، ٧٨

يونس بن حبيب

كلمة الدكتور جميل سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب له قيمتان ، قيمة علمية واخرى توجيهية او منهجية ،
اما قيمته العلمية فتراها في ان الكتاب عرض لهذه العلوم العربية فألم
بأريخ كل منها المامة بين فيها نشأة العلم ، وبداية تدوينه ، وعرض فيها
لعوامل نمائه واتساعه وتشعبه ، وعرض في هذا لما يحدث من الصراع
بين المذاهب الحديثة التي تحاول ان تغير اتجاه سير العلم ، وبين المذاهب
القديمة المحافظة التي تحاول ان تحجر قواعده وتجمدها عليها ، ترى هذا
واضحاً في التطاحن العنيف القوي بين اراء المجددين الذين يريدون
ان يدخلوا الألفاظ الأعجمية الى العربية ، وبين الذين يريدون ان يبعدوا
كل ما هو اعجمي مهادعت الحاجة اليه والحت . وتراه واضحاً في
الصراع بين النظريات والمذاهب النحوية ، التي انقسم فيها الناس الى
معسكرين كبيرين هما معسكر البصرة ، ومعسكر الكوفة ، وصار
الناس يتعصبون لها تعصبهم لمذاهبهم الدينية والسياسية ، بل ربما كانت
عصبيتهم لها أشد من عصبيتهم لمذاهبهم ونحلهم .

وكما ترى هذا في النحو تراه في البلاغة ، فقد انقسم فيها الناس الى
معسكرين ، او مدرستين هامتين ، هما مدرسة الأدباء ومدرسة

المتكلمين . وإن شئت سميتها - كما سماها الأقدمون - مدرسة العرب
ومدرسة المعجم . والأولى تعنى بالناحية الفنية الذوقية ، والأخرى تعنى
بتقسيم الكلام الى قواعد ونظريات تفحص فيها شيئاً من المنطق والفلسفة ،
ولا تخلوها من الآراء الدينية والمذهبية .

عرض مؤلفه - رحمه الله - الى هذا التطاحن بأسلوب ممتع شيق ،
وقد أوتي من سعة الاطلاع ، وقوة العقل ، وقدرة السيطرة على اللغة
ما جعله يعرض عليك ادق المسائل العلمية عرضاً يبسطها فيه ويسهلها ،
حتى يجعلك تقرؤها فزاهاً واضحة سهلة ، وحتى تعجب من شدة غموض
هذه الموضوعات في الكتب العربية القديمة ، ومن سهولتها وشدة
وضوحها فيه ، ترى هذا في موضوعات النحت والقباب والابدال وما
اليها من الموضوعات التي يفرق دارسو العربية من اسمائها .

ومع ان الكتاب قد جاء موجزاً أشد الايجاز فانه قد حوى من
المسائل الهامة الدقيقة ما لا تثر عليه في اكبر الكتب المفصلة ، ولقد
صدق الاستاذ الكريم الدكتور مصطفى جواد حين قال لانه : « لا يفتنى
عنه كشف الظنون ، ولا موضوعات العلوم ولا غيرها .. »

وقبل ان تأخذ في الناحية المنهجية - وهي عندنا اهم من الناحية
العلمية في هذا الكتاب - نقول لك : إننا ما زلنا الى الآن نتعصب
للمذهب الغالب من المذاهب القديمة ، الذي انتصر على غيره من المذاهب
وخنتها ، فنحن في النحو نتعصب لمذهب البصريين ، ولا نقرأ النحو

الا في الكتب التي تعصب اهلها له ، ونهمل المذهب الكوفي ، على ما به من حسنات وآراء جديرة بالاعتبار .

ونحن في البلاغة نتابع مذهب المتكلمين ، ونقرأ البلاغة متبعين ما سماه القدماء ببلاغة المعجم ، وعلى هذا النحو الف المعاصرون الكتب الحديثة التي يربى عليها الناشئة الآن . وقد اهمات مدرسة الأدباء الذوقية - التي سمي القدماء بلاغتها ببلاغة العرب - أيما اهمال . وهي افضل من صاحبها في تربية الملائكة الفنية ، واءون على ذوق الكلام ومعرفة جيده من رديئه ، وحسنه من قبيحه .

وكذلك نحن الآن امام هذه الألفاظ الأعجمية . إننا نحاول ان نوصد الباب بوجه كل كلمة غريبة ، ونلمس لمذلولها كلمات عربية مئمة ، نحملها معانيها فتتوء بالحمل ، ويعرض الناس عن استعمالها نافرين .

* * *

أرأيت هذا ؟ من اجله اذا قلت : إن الناحية المنهجية في الكتاب ، أهم من الناحية العلمية ، إنه يدعو الى تغيير طرق الدراسة ، وؤافه - رحمه الله - لا يمتنع ولا يشتد حين يعرض هذه الطرق ، بل يخاطب بها القارئ وكأها من البديهيات التي لا تحتاج الى مناقشة ولا جدل ، يقول في التعريب : « ولا جرم ان استمداد لغة من اخرى يعد من اساليب نمائها ، فالتعريب بالنسبة للغة العربية احد عوامل توسعها .. لأن اللغة الحية تشبه المخلوقات تفتقر في بنائها ونمائها الى مختلف الاغذية

وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من اخرى من مختلف الكلام^(١)، وهو يلوم المحافظين المتشددين بأن يقول : .. ثم ما لنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة باب تنفس منه هرعوا اليه وسدوه ، على زعم أنهم يخدمونها بالمحافظة عليها ، وسد مسالك المعجزة عنها .. وفاتهم أنهم بهذا الصنيع يعملون على اماتة العناصر فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها^(٢) ، ويرى - كما رأى متحرروا السلف - ان تؤخذ الالفاظ الاعجمية فتحور بمض الشيء ، اذ تبقى كما هي ، يقول : وبالجمله فان الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد المعربات الى ابنية اللغة العربية ، ولأنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة ، لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة باوزانها^(٣) ..

اما البلاغة فيرى ان يرجع بدراستها الى احياء المدرسة الادبية ، التي دحرتها وخنتها مدرسة المتكلمين العقلين ، يقول : لان ما يمينه القوم - قديماً - من اسر البلاغة ، غير ما زعمه نحن اليوم ، فأنهم يريدون به تلك المباحث التي تدور حول الخصائص التي ترفع قدر الكلام ، وتسكوه جمالا وجلالا ، مع بيان العيوب التي تحط من قدر القول ، وتسكبه قبحا وسخافة ، وهذا ما تهدينا اليه دراسة البلاغة على طريقة المدرسة الادبية ، وهو من اجل هذا يفاضل بين المدرستين فيرى ان « المفتاح وتلخيصه ، والايضاح ، وان كانت احسن من غيرها من

(١) ص ٤٩ (٢) ص ٦٢ (٣) ص ٦٢

حيث التبويب ، والتنسيق العلمى من الوجة النظرية ، الا ان ما كتبه عبد القاهر الجرجاني ومن اقتفى اثره ، اقوى اثرا في تقويم الالسنه وتنقيف الاقلام من الوجة العملية ، فالنوع الاول يتخرج به علماء في فنون البلاغة ، والثانى يتخرج به بلغاء حقا (١) .. ويتعامل على طريقة هذه المدرسة ، وهي الطريقة التي تدرس في مدارسنا الان ، فيقول : « وقد ثبت بالتجربة ان معظم اولئك الذين يمتدنون في تحصيلهم على التلخيص وشروحه وحواشيه ، وما الى ذلك يتعسر على احدهم ، ان لم نقل يتعذر ، ان يكتب رسالة صحيحة فضلا عن ان تكون بليغة (٢) .. »

اما النحو فقد اعاره اهمية بالغة ، ونقد كتبه وطرائق تدريسه ، وعقد فصلا طويلا للحديث عن عاهات كتب النحو ولام المؤلفين المعاصرين حين تقاعسوا ولم ينتفعوا بما ابدعته قرائح المعاصرين من رجال التربية والتأليم من بدائع الاساليب وتوخي السهولة في حسن الترتيب والتبويب ، ورأى ان من اسباب انصراف الناشئة عن دراسة النحو انهم رأوا العلوم الأخرى قد صقلت جوانبها وهذبت ، وصبت

(١) ١٦٣

(٢) ص ١٦٣ ، وقد اخذت دار المعلمين العالية بدراسة البلاغة في كتب عبد القاهر وابن الاثير ، متبعة طريقة الادباء ونرجو ان تنبه لجنة المناهج في وزارة المعارف فتغير طرقها وكتبها في المدارس الثانوية .

بقوالب قدرتها ايدي التربية العصرية واصول التعليم اي تقدير ، وبقي علم النحو - كغيره من علوم اللسان العربي - في معزل عن هذا الاصلاح ، وقد عرض اطرائق عرض الموضوعات النحوية فنقدتها في صميمها ، قال : « وما قولك في ان جبهة المؤلفين في هذا الشأن من المعاصرين - على شدة عنايتهم في صقل مؤلفاتهم - ذهلوا عن هذا الأمر فوقوا في المحذور التعليمي الذي وقع فيه من سبقهم ... نجدهم يقولون في مبادئ كتبهم مثلاً ، الفعل المتمددي : هو الذي ينصب المفعول به ، والفعل المعلوم : هو الذي يذكر فاعله ، مع ان الطالب لم يعرف شيئاً من أمر النصب ، والمفعول به ، والفاعل . وتفهيماً يتوقف على دراسة ابواب لم تزل معقودة في ناصية المستقبل (١) »

ويرى - رحمه الله - ان هذه المذاهب التي نسير عليها اليوم ، لا يمكن ان نتجافها ما دامت كتبها بأيدينا ، فيعرض لهذه الكتب بشيء من النقد يقول فيه « ومع الأسف فانا نجد كثيراً من هذه الكتب الجافة تتداولها الأيدي وتندارسها المتعلمة من أبناء هذا الجيل ، وما ذلك - في نظرنا - الا لان ايدي الطباعة تناولتها قبل غيرها ، واخرجتها للناس ، فأولع بها من نابته العصر من لم تصل يده الى سواها (٢) »

وقبل ان افرغ من هذه الكلمة اقول : لان الفاريء قد يجد في

هذا الكتاب اقتضاباً شديداً ، ويرى فيه وعوداً بالحديث عن فكر او رجال ، ثم يختم الكتاب ولا يجد تحقيق هذه الوعود . اما الأمر الأول فعلمته ان المؤلف - رحمه الله - كتب هذا الكتاب لطلابه في دار المعلمين العالية ببغداد ، وهم لا يدرسون هذا الدرس الا ساعة واحدة في الاسبوع ، ولمدة سنة دراسية واحدة . واما علة الأمر الآخر فان يد المنون قد اختطفته - رحمه الله - ولما يفرغ من أعماله واعادة النظر فيه . واعتذر الى القاري ، بأنني لا املك حين اكتب هذه الكلمة أن اصعد ذكراه عن خاطري ، وأن أجرى على لساني :

ولماني إن أسلوك او ادع البكا فبالأس أسلو عنك لا بالتجلد

محميل سعيد

﴿ انتهى ﴾

